مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

الحب والرعب

4

سالى عادل

Looloo
www.dvd4arab.com

الوصول إليك

الوصـول إليـك

من الحب والرعب ..

كنت أود أن أقول :

من قال أن الحب ليس مرعبًا ؟ أنت فتى كبير ومسئول ، فهل تستطيع رعاية من تحب ؟! هل تستطيع أن تنقذ فتاتك من الأوغاد واللصوص وقطّاع الطرق ؟! هل تستطيع أن تجنّبها السيارات المسرعة والأمراض والكوارث ؟! هل تستطيع أن تحميها حتى من نفسك ؟! أنت تنظر للباكين من فراق أحبائهم وترتجف خوفًا أن تهجرك ، أنت حتى لا تفكّر أن ثمة اختراع يسمى (موت) يتسبب فى فراق الأحباء ! هل تخاف أن تتركك وتموت ، هاه ؟! إذًا ، كيف يكون شعورك .. لو تركت الموت ، وعادت إليك ؟!!

فقط ، كنتُ أتساءل .

Looloo
www.dvd4arab.com

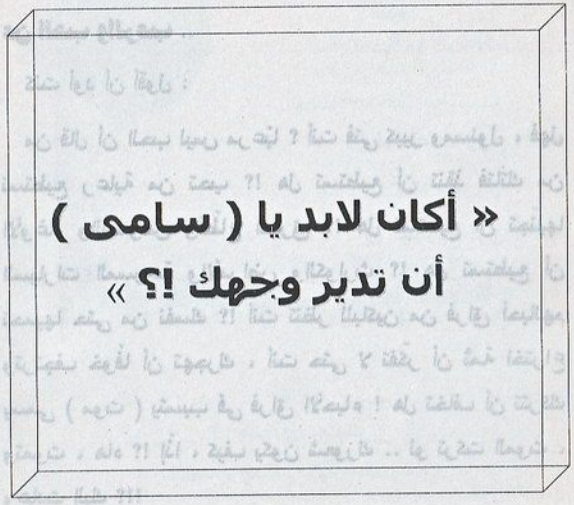

عن لعنة (ليلى برهان) ..

استمع لى ، أنت تهمنى ، لو لم تكن تهمنى ما كنتُ لأنصحك : ابتعد عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) لا تملك روحًا مثلنا ، إن لها نصف روح فقط ، والنصف الآخر حمله وفرّ به من يدعى (سامى عزيز) .

(ليلى برهان) لا تملك عمرًا مثلنا ، إن لها ربع قرن أخذته كاملاً وأنكرته ، ربع قرن لا تفعل شيئًا سوى اتساع العينين وسقوط الفك مع الارتجاف ، ثم الجلوس لأقرب مقعد تحكى لأول عابر عمّا أصابها ، ولا تنسى أن تخبره أنها لم تأخذ شيئًا من العمر ، ويمكنها أن تصوّب عينيها الكاذبتين إلى عينيك لمدى ما شئت دون أن تطرُف ؛ تقول إنها تريد عمرها .

(ليلى برهان) لا تملك اسـمًا مثلنا ، إن اسمها ميراث من الماضى والحاضر سيحنى ظهـرك ، ومتـاهة مـن كتب النثر والشعر ستدير رأسـك ، وأنشـودة مـن أناشيد الحب والرعب سترجف بدنك ، ترعد عظامك ، تذيب أعصابك ، تجمّد دماءك ،

Looloo
www.dvd4arab.com

تزيغ بصرك ، تشيب شعرك ، تخبّط أسنانك ، تفكك ركبك ، تنحل وبرك ، تقصـف عمـرك ، فتحلى بالحكمـة وانفـذ بجلدك من (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) ــ أغلب الوقت ــ شعرها قصير ، يشاهدونه فى أوقات طويلاً . عينها سوداء ، تبدو فى مرات خضراء . وزنها مثالى ومع هـذا تتبع حمية ؛ لأن الميزان يخبرها عن ضعف وزنها .

(ليلى برهان) ــ أغلب الظـن ــ تعمـل نادلـة ، إنهم يشاهدونها تدخل وتخرج من مطعم غريب تحوم حوله القطط السوداء : ورديات عمل مسائية ، زبائن غرباء الأطـوار ، وتقطيبة دائمة على جبينها ــ كما التعويذة ــ تطرد الأرواح الشريرة ، ومع هذا تجذبك أنت ، لأن روحك ليست شريرة ، وعـودك الأخضر سينثنى على يديها حتى تسـمع الطقطقة ، فتشبث بجبل يعصمك منهـا واركض إلى أبعـد ما يمكنك عـن (ليلى برهان) .

(ليلى برهـان) ــ أغلب العمـر ــ تجلس وحيدة ؛ ولذلك لا أفهم بالضبط سبب ضحكها فجأة ثم تكويرها قبضتها لتدفع بها

فى كتف خفى ، لا أعرف سر توقفها فى الطريق لتحية من لم يوجد ، أو مغزى ردها على الهاتف حين لا يرن .

استمع لى ، لا تستمع إلى (ليلى برهان) !

ستندهك كما النداهة وستنجذب لها كما المجذوب . ستركض أميالاً خلف كلمة من شفاهها حين تنطق ، وستدمن حميميتها حين تنصت إليك بوجل ، وتجيب أحزانك بهمهمة لا أكثر لكن فيها كل المواساة ، وحين تصمت أنت ، سترفع إليك طرف عينها هامسة : « وماذا بعد ؟ » ، وستجد أنك تسترسل فى الحكى حتى لتفتح قدس أقداسك ، وتفصح عن سر أسرارك دون أن تعى ، ثم تسكب فوقه روحك فى فنجان وتقدمه لها . ثم أخبرنى بعدها كيف ستعيش من دون روح .

ستحبها ، ولن تقدر أن تخبرها أنك تحبها ، ستكتفى منها بتربيت كتف الأصـدقاء ، ستكتفى أن تلمـح قلقها عليك إذا ما سعلتَ وركضها لتجلب كوبًا من الماء والدواء ، تكتفى أن تحدّثها عن صديقك الذى يحب مـن طرف واحـد ، وتحدّثك هى عن أحبّائها الجدد الذين لستَ أحدهم . وفى اللحظة التى تقرر بها أن تتغلب على مخاوفك وتصارحها بحبـك ستتراجع سنتيمترات للوراء ،

Looloo
www.dvd4arab.com

ترسم الدهشة على وجهها فى حين تخبرك فيما يشبه الحرج : « ولكنى حكيت لك عن حبيبى الجديد » .

وستعرف أنت أن حبيبها الجديد هو غريمك القديم هو عدوّك الأوحد ، هو من يدعى (سامى عزيز) ، وأنّ كل حبيب غيره يأتيها حاملاً حياته على كفّه ، فتنتقى منها بعض الدفء ، بعض السعادة ، بعض الصبر على فراق (سامى عزيز) ، ثم ترد إليه كفّه . وأنـــت مسكين يا أنت . أنت اسمٌ على قائمة أطول من الليالى السوداء التى تنتظرك فى عشق (ليلى برهان) .

ستعلم ــ متأخرًا ــ أننى صدقتُ حين أخبرتك أن (ليلى برهان) ملكة الاحتمالات وسيدة التناقضات وبطلة الحكايات غير المكتملة ، إنها حنونة وقاسية ، وإنها قد تحبك ، وقد لا تأبه بك على الإطلاق ، ستعرف أنها ناعمة كالثعابين ، ودمعتها قريبة كالتماسيح ، وقليلة الحيلة كما الـــ (أنثى) ، أقول لك : أ ــ ن ــ ث ــ ى ، وأنت تعرف كم عظيم كيدهن !

ولن تعرف ، لا أحد يعرف لماذا تستخدم تلك البريئة أناملها الصغيرة لتكتب الرعب دونًا عن الأنواع الأخرى ، لا أحد يفهم لماذا تستخدم صوتها الرقيق لتقرأه على نفسها قبل الآخرين ،

ولا أحد يلمح التماع عينها باللذة حين ترتجف خوفًا من حرف كتبته بنفسها .

انتبـــه لى ..

أنا هنا فى الظلام أتكبد نصيحتك ، وأنت تسعى بإصرار لأن تصيبك لعنة (ليلى برهان) ، ألم تحاول أن تسأل نفسك :

لماذا تترك (ليلى برهان) العمل فى مجال دراستها كصحفية واعدة وتفضّل أن تعمل نادلة فى ذاك المطعم المريب !

لماذا تترك البشر على الأرض وتصادق شبحًا على الإنترنت تناديه (فانتوم) وتبث إليه حكاياتها عن عوالم لا أدرى كنهها ، وشخصيات ليست على ما يُرام ؟

لماذا تتزوج بواحد فى حين تهيم بآخر ، ثم يظل بقلبها متسع لـــ (عاصم) و(نائل) و(إيهاب) و(فريد) و ... أخشى أن أنسى أحدهم ؟!

ولماذا بعد كل هذا ، تظل تأمل أنت ــ فى أسعد أحلامك ــ بأن تصير أحدهم ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ألم يخطر ببالك مرّة أن تسأل تلك الأرملة الحزينة المسماة (ليلى برهان) :

كيف صارت أرملة بعد زواجها بهذه السرعة ؟ وأين ذهب الطفل الذى كانت تحمله ببطنها ؟!

لم يعد هناك وقت ، استجب لى ، لا تقترب من (ليلى برهان) ، لا تعبر بشارع عبرت به (ليلى برهان) ، لا تبحث فى ذاكرتك ، لا ترسم فى مخيلتك ، ولا تردد فى خاطرك جملة تحمل اسم حبيبتى (ليلى برهان) .

بإخلاص ..

أحدهـــم .

ليست مقدمة

أنا أحكى لك يا (فاتوم)

دومًا أحكى لك

واليوم ، لن أحكى لك .

لن أحكى لك

عن الحب

الذى يترك بك أثرًا مدى الحياة

كضربة مطواة .

لن أحكى لك أنت

سأحكى ..

لهذا الحب .

Looloo
www.dvd4arab.com

مقدمة

(أيها القـادم ترفّق ؛ سلّمة الحاضر نخـرة ، تُسقِطك إلى المستقبل ، وليت المستقبل أفضل ! فتمهل) .

روت لى جدتى أن قطًّا أسود كان يحوم حول البيت يوم مولدى ، وبالرغم من نذير الشؤم إلا أنها حين رأت عينى المغمضتين لأول مرة قالت : « لسوف تكونين فتاة محظوظة ! »

وقد عوى القط الأسود عواءً مريعًا فى تلك اللحظة ، فيما بدا الارتباك على الطبيب إذ ينظر إلى قطعة اللحم الصامتة أمامه ، إنها لا تبكى ولا تستجيب للضربات الخفيفة أسفل ظهرها فى محاولة لتشغيل رئتيها للمرة الأولى ، استسلم الطبيب وتركنى على المائدة وقد بدأ يتلعثم بكلمات العزاء ثم التفت مغادرًا ، وكان ذلك حين انفجرتُ بالصراخ .

يقولون إن الذى يتعرض لتجربة موت وينجو منها ، هو بالضبط لا يكون ناجيًا ، ولكنه تورّط حتى عرف أكثر من اللازم .. لكنهم لم يخبرونا عن الذى وُلِد بتجربة من هؤلاء .

فيما بعد ، تعودتُ أن أذكر نبوءة جدتى كلما خرجتُ من مأزق لأقع فى آخر ، وقد أدركت أن القط إنما كان يعوى اعتراضًا على تلك المقولة المتفائلة .

كنتُ أصبّر نفسى أن الحظ لمّا يبتسم بعد ... أما اليوم ، فأنا أذكر جدتى وأترحّم ؛ كم كان حدسك صائبًا يا جدّتى : إن حفيدتك اليوم لأكثر الفتيات حظًّا بالعالم ؛ وإننى لعلى موعد مع ... احذر من ؟

نعـم ، هـو !!!!

Looloo
www.dvd4arab.com

1

أو بعد الموت !

♪

هذه ليلتى .. وحلم حياتى

بين ماضٍ من الزمان وآتِ

الهوى أنت كله ، والأمانى

فاملأ الكأس بالغرام وهاتِ

♫

ليست صدفة !

ليست صدفة أن ينتقى العاملون بالكافيه بالضبط الأغنية التى تناسب مزاجى ، إن هذه الأغنية علامة من القدر .

بينما أنتظر أنشغل بترتيب بعثرة روحى : فتارة أساوى شعرى ، فتارة أخرى أمنع دمعة ، وتارة أهدئ من روع قلبى كى لا يقتلنى قبل أن ألقى (سامى) .

أسرح حينًا مع طفلة على مائدة مقابلة جميلة الملامح كما (سامى) ولكنها حسنة الحظ جدًا ؛ فصغر سنّها أنجاها من أن تتعذب بحب (سامى) .

أرقب نادلاً صغيرًا برىء الملامح يتنقل بين الموائد ولكنه تعس الحظ جدًا ؛ فقد كان من الممكن أن أفكّر بأمره ، لو لم أكن على موعد مع (سامى) .

أسترق النظر إلى سيدة فى منتصف العمر تستخدم سكينًا لقطع الحلوى التى هى بالتأكيد ليست أحلى من (سامى) .

(سامى) ! (سامى) ! إننى أشعر بشعور غريب ، ولو لم أكن على موعد مع (سامى) ، لقلت بأننى على موعد مع (سامى) !

أراجع مع نفسى الحقائق المجردة لأطمئن إلى النتيجة للمرة الألف منذ حصلت على الموعد :

Looloo
www.dvd4arab.com

1 ــ (سامى) كان بادى الحنين حين التقانى صدفة بينما زوجى (كامل) بجوارى[1] .

2 ــ بمجرد وفاة (كامل) اتصل بى (سامى) وطلب لقائى .

3 ــ (سامى) اختار ذات مكان اللقاء الذى يحمل ذكرياتنا .

فإذا أضفنا لهذا علامة القدر التى حصلت عليها اليوم ، فإنه لم يعد من الممكن التشكيك بأن (سامى) لا يزال يحبنى .

ترتعش عينى ، ترتجف أناملى ، يضرب قلبى جدران صدرى بعنف : اهدأ أيها المجنون ليست بالضبط فكرة صائبة أن تردينى قتيلة على مائدة (سامى) : ها قد لاح حبيبى !

هز رأسه بتحية مقتضبة واتخذ مقعدًا :

ــ مرحبًا يا ... فتاة ! كيفك ؟

أبتلع ريقى مع الصدمة :

ــ بخير يا (سامى) .. هل نسيت اسمى أم ماذا ؟

(1) التفاصيل عن هذا برواية (العطايا السوداء) العدد الأول .

يزفر فى بساطة :

ــ لا ! إنها مشاغل الحياة ، وكيف حال زوجك ؟

ــ زوجى ..... ؟ ألا تعرف ؟

أخفضت صوتى كأنما أحدث نفسى :

ــ ظننتك تعرف أن زوجى تُوفى .

أدار وجهه إلى بعيد بينما يقول بلا مبالاة :

ــ حقًا ؟ يؤسفنى هذا ..

نظر إلى ساعته :

ــ إذًا ندخل إلى الموضوع .. تعرفين أنى أترأس القسم الأدبى بجريدة (المجهول) ، وفى اجتماع هيئة التحرير الأخير ناقشنا اقتراحـات لتطـوير الصحيفة تشـمل إصـدار حلقات قصصية عن ذلك العالم المجهول ، وقـد اقترح أعضاء من هيئة التحرير اسمك لما طالعوه من كتابات لك بالسوق .

أعاد النظر إلى ساعته فيما يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لو سألتنى رأيى لقلت أن كتاباتك سطحية تخلو من التشويق وتفتقر إلى الخيال ؛ تعرفين أننى ناقد بالأساس ، ولكن هم لهم رأى آخر ، فماذا ترين ؟

أنهى كلامه وتنقل بنظرته المتعجلة بين الموجودات من حوله ، ما عداى . أنهى آمالى ثم أدار وجهه ، ولم يكلف خاطره أن ينظر لى . لم يلمح رقّة عينى اليسرى إذ تنظر إليه ، لم يتعذب بثبات نظرتى المصوّبة إلى عينيه المتفلتتين ، لم يدرك أن مثلى لم تكن لتُعامَل بهذا الشكل . تناول كوب ماء من أمامى ورفعه إلى فمه ، سمعت صوت اصطكاك المعدن بالزجاج ، أنزلت بصرى إلى مصدر الصوت بوجل .

أصابه الملل فأعاد :

ــ أقول ، ما رأيك ؟

ثم رفع يده إلى النادل يطلب الحساب ، يده المزينة بـــ خاتم زواج . أرفع عينى عن الدبلة وأتوجه إليه بنبرة مرحة :

ــ بارك لى يا (سامى) ؛

فعلى وجهك الحلو ..

وقعت لى أنباء سارة ..

سوف أحكيها لك ..

وسوف تندهش منها ..

وسوف لن تنساها ما حييت ، أو بعد الموت !

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر،

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

Looloo
www.dvd4arab.com

2

برغم ما حدث !

هل تحب الأنباء السارّة ، (سمسم) ؟

هل تعرف أننى أحصيها بحياتى عدا ؟

هناك نبأ الخطبة إليك .. أتذكر ؟

أحلى ابتسامة على وجهى على الإطلاق تلك التى أطالعك بها فى صورة الخطبة ..

لاحقًا ، قـــررت أن أحصـــل على صـــورة تشبهها ، أنا هو أنا ويمكننى أن أحصـــل على صـــورة أفضل منهـــا ، أليس كذلك ؟ حاولت ، لا أخفيك ، لكن من أين أحصل على حبيب يشبهك ؟

فى البدء ، والمنتهى ، كنت أنت . من قبل الخطبة ، ودون حتى أن تنتبه لوجودى ، وفيما كنت مغرقًا فى حب (فادية)[1] ، كنت أنت أنبائى السارة مع كل صبح فى الكلية : نبأ أن الشمس أشرقت لأن (سامى) قد جاء ، نبأ أننى ارتويت لأن (سامى) يرفع زجاجة ماء إلى فمه ، نبأ أننى أحترق لأن (سامى) يحتضن كف (فادية) من تحت الطاولة ، ويظل نبأ سارًا ؛ مادام (سامى) يقبع فى محيط الهواء الذى أتنفسه .

مدينة لك بالأنباء السارة ، (سمسم) ، واليوم : يوم رد الجميل .

لأحمل لك أنا النبأ السار ، وإن لم تشعر بالسعادة لما سأخبرك عنه ، فلا تحزن .

إننى فى لحظة من الحزن يا (سامى) تجعلنى أشفق عليك منه .

وإن لم تستطع أن تسامحنى فلا تحقد علىّ .

إن الحقد يا (سامى) ليدفع الناس للانتقام .

(1) التفاصيل عن علاقة (سامى) بـ (فادية) برواية (شايب بالأحكام) العدد الخامس .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم يجيئونك حاملين أنباءهم السارة .

أكان لا بد يا (سامى) أن تدير وجهك ؟

أكان لا بد أن تكرر النظر إلى ساعتك ؟

أكان لا بد أن ترفع يدك للنادل متعجلاً الرحيل ؟

أكان لا بد يا (سامى) ..

كان ضروريًا ...

كان حتميًا .....

أن .....

أن .....

تتزوج غيرى !!؟

لم أدرِ ماذا أفعل ...

لم أدرِ ما لا أفعل ..

قل لى أولاً :

من أنا ؟!.. أين أنا ؟!... نسيت كل شىء .. لم أنسك لحظة يا (سامى) .

ليست لحظة ...

كالقدر ، يا (سامى) ، لا أنسى ..

وأنت ، مثله ، لا تبالى .

هل تعرف يا (سامى) ؟... هل تعرف شيئًا يا (سامى) عن مشاعرى .. على فراشى ، وحيدة ، أتخيلك على فراشها ؟

هل تعرف كم حلو اسمك حين أنطقه ؟

هل تعرف كم قاس الأمل حين يركل مؤخرتك ويمضى ؟

هل تعرف أن الأرض كروية ، والشمس تشرق من الشرق ، وأنى أحبك ؟

ومن أجل هذا أردت أن أقول :

بارك لى يا (سامى)

هننى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

فإن أقرب الناس لى ،

حبيبى ،

تزوج !

ألا تبدى انفعالاً يا (سامى) ؟

ألا تتنفس الصعداء أن الخبر الذى تهيبت منه لم يكن سوى خبر زواجك :

لا يزعج ،

لا يؤلم ،

لا يعتصر القلب ؟

لكن الشطر الثانى من الخبر لم يأتِ بعد ،

الشطر الذى يقول :

أن فتاة مسالمة يا (سامى) قد تعذبت بك حبًا من طرف واحد فيما أنت مغرق بعشق أخرى ، ثم تعذبت بك خطيبة لك توليها ظهرك وتمضى دون أن تكلّف خاطرك إبداء أسباب ، ثم تعذبت بك زوجة لغيرك وتحبك أنت .

ثم فى اللحظة التى يقرر فيها القدر أن يحررها من هذا الزواج تقرر أنت أن تعذبها من جديد بخبر زواجك .

هذه الفتاة المسالمة لم تعد مسالمة أكثر ، (سمسم) .

هذه الفتاة لن تسمح لك بتعذيبها من جديد،

هذه الفتاة لن تدعك تهنأ بزواجك للحظة أخرى ، ليس وهى على قيد الحياة ، ولا أنت .

سأتوقف هنا يا (سامى) لأنى بدأت أهذى ..

لأن الحبوب المهدئة عصّبتنى ،

والحبوب المنومة نبّهتنى ،

ولأنى لم أنتهِ بعد من كتاب « مائة وسيلة للانتحار » ..

ولأنى لا أدرى أكنتُ أقرأه أم أكتبه ..

ولأن القط يموء طالبًا الطعام .

ولأن الهاتف يرن طالبًا الإجابة .

ولأن الماسنجر يدوّى طالبًا ، همم .. الإجابة أيضًا .

www.dvd4arab.com

ولأن تكرار كلمة 'الإجابة' بهذه السرعة لن يعجبك كناقد .

ولكن ــ كناقد يا (سامى) ــ أخبرنى ...

هل يصلح الراوى المشتت لحكى القصص ؟

هل يصلح الراوى أحمر الأنف من البكاء ؟

هل يصلح الراوى الذى اكتشف للتو أن حبيبه تزوج ؟

سوف نكتشف هذا معًا .

وسوف لن أتوقف عن الحكى إليك مهما حدث .

وسوف لن تتوقف عن الاستماع إلى ، برغم ما حدث !

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر،

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

3

معك دقات قلبى !

قهوتك بردت يا (سامى)

أم أنها لا تعجبك ؟

هل تعرف يا (سامى) أن الحكى يصير ألذ حين يكون المُخاطَب أنت ؟

إننى يا (سامى) إذ أحكى لك ، أحاول تنحية عواطفى إلى جانب ، أحاول فى بداية كل جملة ألاّ أقول « أحبك » وفى نهايتها ألا يتهدّج صوتى بالبكاء ، لكن محاولاتى تفشل كثيرًا ، أعترف .

أعترف أنى آلمتك ..

إن السكّين حين يخترق الجسد ليولى

Looloo
www.dvd4arab.com

يؤلم كأن القطار يدهس ،

يؤلم كأن الروح تصعد ،

يؤلم كأن (سامى) تزوج .

أحيانًا أفكر :

هل كان الخطأ أن التقينا بعد هذا الزمن وتنكرت لى ؟

أم كان الخطأ أن اتصلت بى بعدها للاعتذار عن ذاك الخطأ !؟

نبّهنى يا (سامى) حين أتمادى فيما لا يفيد السياق ولا يؤدى إلى تطور الصراع فالعقدة ..

العقدة التى فى الرباط ، كحبى لك .

أقول :

أنك حين اتصلت انفتحت طاقة بداخلى . أخبرك بصدق أنى سامحتك من أول حرف . وحين فتحتُ لك الباب طاوية يدى خلف ظهرى ، لم أكن أحمل سوى :

وردة .

إن كل البشر لا يستطيعون أن يقنعونى بأن أكرهك ، ولو اجتمعوا .

فكيف أفكر فى إيذائك ، (سامى) ؟

كيف يمكن أن أؤذك أنا التى لا تدع فرصة لنطق اسمك ، إلا ونطقته ، (سامى) ...

كطفل لا يحفظ من الكلمات سوى نداء إلى أمه ...

أو طفل يتيم حُرِم نداء أمه ، لكنه ظل يحن .

طوّقتك (سامى) ،

أفسدت قميصك الثمين بدموعى ،

ضممتك حتى ظننتُ أنى سأعتصرك بين ذراعى ،

فأبعدتك ،

ثم تقت فقرّبتك .. ألفًا (سامى) ، ألف .

حتى قطّى لا يزال يذكرك ؛

راح يتقافز حولك ويتمسّح بقدمك ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لكنك أبعدته يا (سامى) دون تردد؛

فأنت تجيد لعب دور الـــ « قاسى » متى أردت .

قرّبتك ، (سامى) ..

أقرب ،

أكثر شىء .

حتى شعرت باضطراب الهاتف فى جيبك لمّا اتصلتْ بك :

« حاضر ،

سآتى حالاً »

ولمّا أنهيتَ مكالمتَك لم أقل سوى كلمة واحدة :

« أنت : لن ترحل »

تبدّل وجهك ، وقد عزمت على الرحيل . استوقفتك : أنت معى ، أنت لى ..

زجرت يدى .

استعطفتك : أنا قبلها ، أنا الأصل .

لكنك لم تهتم .

لم أملك غير أن هدّدتك :

إن أحدًا لن يأخذك منى بعدما وجدتك ، وأنى :

قاتل أو مقتول الليلة .

لماذا لم تصدقنى يا (سامى) ؟

لماذا استخففت بوجعى ، ودفعتنى من أعلى شطحات الأمل إلى الأرض ،

ثم استدرت ؟

إن جرحًا كجـــرح امـــرأة تزوج حبيبها لا يُستهان به أبدًا يا (سامى) . أنت لم تصل الباب ؛ لأنى ...

التقطت السكّين ودفعت به بين كتفيك ...

لا أدرى يا (سامى) كيف اخترقك السكين؟ لا أدرى ....

أنت شفافًا كالملائكة ،

كالروح ،

كالأنفـــاس ،

Looloo
www.dvd4arab.com

فكيف يا (سامى) .. كيف !؟

لكنك هدأت وكففت عن المحاولة ، وقبلت أن تبقى معى ، وقد أغلقتُ هاتفك ، ضمّدتُ جرحك ، أبدلتُ قميصك ، وقضيتُ وقتًا رائعًا بحضنك ، ولكنّك تبدلت كثيرًا يا (سامى) عن ذى قبل ؛ فكلما مازحتك لا تستجيب ، وكلما أسندتُ رأسى إلى صدرك ..

لا أسمع دقات القلب .

سوف أوقف دقات قلبى من أجلك ،

وسوف تنام بهدوء ،

وسوف تصحو فأقتسم معك دقات قلبى !

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر،

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

4

ولو بعد ألف عام !

فتحت عيونى عليك ، ولكن عينيك مفتوحتان ..

هل استيقظت قبلى ؟

أنظر إلى الساعة .. ياه! إن النهار انقضى ويبدو أننا نمنا كالقتلى ، كانت ليلة مرهقة لكلينا ، ولكنى إذ أنظر فى عينيك أنسى عذاب عمر بأكمله ، ويبدو أن الإرهاق قد أضاع سواد عينيك ، وإننى لأتساءل : كيف تستطيع أن ترانى بعينين شفافتين ؟

ولكنى أراك جيدًا وكم أشعر بالرضا لهذا! ها قد زارنى (سانتا كلوز) فى الليل ووضع جوارى هديتى لعيد الميلاد ؛ لأننى كنت طفلة جيدة طوال سنوات شبابى الضائعة ، لأنى أجدتُ انتظارك فى ليالى عذاباتى دون أن أدبدب بقدمى أو أتعجل حضورك أو أعطّل تلكعك ، ولأنى سمحت لغريمتى أن تأخذك منى ثم لم أزعجها بتقديم طلب استعادتك ، أنا استعدتك مباشرة .

www.dvd4arab.com

بالمناسبة ..

أمد يدى برفق إلى جيبك ، أُخرِج محفظتك ، لابد أن هناك شيئًا من الطراز الذى أبحث عنه ، أستخلص صورة لرجل وامرأة و ... طفلة!

الرجل والطفلة يشبهانك يا (سامى) ، أما المرأة ، يؤسفنى أن أخبرك أن ذائقتك فى تدنى .

ألقى بالصورة على ظهرها : أأنجبتَ أيضًا يا (سامى) ؟

لا بأس ، لن أمانع فى اصطحاب الطفلة .

أقوم عنك ، سأجهز إفطارك ، ولكن الباب يدق ، فلأرى من يرغب فى إزعاجنا أولاً .

فتحتُ فإذا برجل فى جلباب ناصع البياض ، وقد وقف على مسافة متحفظة من الباب :

ــ أفندم؟

ــ أريد القمامة من فضلك .

ــ مـــاذا ؟

ــ القمامة ؛ أنا جامع القمامة .

تساءلتُ فى نفسى كيف يمكن أن يكون مثل هذا المتأنق جامع قمامة ، ثم هناك ما هو أهم :

ــ ولكنك لا تشبه جامع القمامة القديم؟

ــ صحيح .

ــ قصدت أن أسأل أين ذهب ؟

ــ لا أدرى .

ولا أنا أدرى .. ولكن فكرتُ أن التخلص من القمامة ليس بالشىء السيئ ، فأحضرتُ له ما يريد ، وهممت أن أغلق الباب ولكنه فى لحظة تقدم حتى أصبح على العتبة مباشرة ودفع برأسه من فرجة الباب وأدار عينيه بالداخل :

ــ ولكن لديك المزيد من القمامة ، أعطنى المزيد من القمامة .

ــ أيها المجنون ارحل من هنا!

Looloo
www.dvd4arab.com

دفعتُ رأسه بيدى وأغلقتُ الباب بعنف . إن المتطفلين بالعالم ليسوا بالعدد القليل ، إنهم حتى أكثر مما أظن ، فما هى إلا لحظات حتى سمعتُ طرقًا جديدًا ، نظرتُ أولاً من العين السحرية فكانت سيدة فى منتصف العمر فى روب أبيض ــ ومن هذه أيضًا ؟

فتحتُ فرجة من الباب وتساءلتُ بعينى ، فقابلتنى بابتسامة ودود :

ــ صباح الخير .. أنا جارتك الجديدة بالأسفل ، وأحتاج أن أقترض منكِ طاقم سكاكين إذا تفضلتِ .

ــ سكاكين ؟

ــ نعم ، عندى حفل صغير .

ــ حسنًا .

بحثتُ عن السكاكين سريعًا وعدتُ أمنحها إياها ، وكدتُ أغلق الباب حين سمعتها تصيح :

ــ مهــلاً !

توقفتُ فيما تقول هى :

ــ إن منزلك أكثر اتساعًا وهدوءً من منزلى ، إنه يصلح للاستجمام وللعب الأطفال ويصلح حتى لأن تقتلى القتيل ولمّا يشعر بكِ أحد .

هل ترمى إلى شيء؟ اكتفيتُ بأن همهمت نصف همهمة وأغلقت الباب . توجهت إلى المطبخ ، ولكنى لم أصل إليه ، وقفت أستمع إلى الطرقات التى تابعت الدق علىّ رأسى ، فيما بدا لى أن الزيارات ــ كالمصائب ــ لا تأتى فرادى .

فتحتُ فإذا برجل فظ يحمل أقمشة وأدوات ومن خلفه صبيان ، وهمّ ليدخل مباشرة ، فأوقفته بيدى :

ــ ما هذا أيها الرجل الفج؟ أوكالة بدون بوّاب؟ ماذا تريد ؟

ــ أريد المرحوم ، أنا ــ عدم المؤاخذة ــ الحانوتى !

وقع فى قلبى :

ــ ماذا تقول يا نذير الشؤم؟ اذهب من هنا ، ارحل ، لا يوجد موتى .

Looloo
www.dvd4arab.com

وصفقتُ الباب ، فأعلى من صوته ليصلنى من خلف الباب :

ــ لكن العنوان هو العنوان . تعالَ أيها الحانوتى ، ارحل أيها الحانوتى ! ألا تتأكدوا قبل أن تزعجوا خلق الله !

ثم سمعت جرجرة حذائه على السلم . ليذهب فى داهية ! وكأن ما ينقصنى هو زيارة حانوتى ! لكننى أنا الملومة أن فتحت للغرباء ، وهذه المرة لن أفتح مهما حدث .

الدق فى ثبات ، الدق فى ازدياد ، الباب يكاد ينخلع ، يتملكنى الخوف ، قلبى يرتجف ، لا أجرؤ حتى على النظر من العين السحرية . يعم الصمت فجأة ، أخرج إلى الصالة فى حذر ، فألمح مظروفًا ينسل من تحت عقب الباب ، فيما أسمع خطوات مبتعدة . أميل لألتقطه فيما أفضّه بأنامل مرتعشة ، تتساقط حبّات تراب على السجادة ، ثم أستخرج خطابًا :

« الأستاذ الفاضل : (سامى عزيز) »

هه! إنه لك !

"تحية طيبة وبعد ،

من واقع تقديرنا العميق لرسالتكم الصحفية السامية ندعوكم لحضور حفـل تكريمكم ضـمن فعاليـات احتفالات جماعتنا ، سنخبركم بالموعد والمكان فى رسالة قادمة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،

مع تحيات جماعة (أبناء الأرض) »

غريب هذا !

لعلك تعجب من فحوى رسالة من جماعة بهذا الاسم ..

أما أنا فما يشغلنى : ثمة من يعرف أنك هنا .

ولمّا دق الباب للمرة الألف ، كنتُ قد بدأت أتشكك بأن هاته الزيارات كالمصائب ، وأوقن بأن المصائب كهاته الزيارات .

هذه المرة كان طرازًا مختلفًا من الزائرين ، طراز من يعرف أنه صاحب بيت لا زائر ، أن له حق التدخل وليس متطفلاً ، وأنك إن لم تقابله فى دارك ، سيقابلك هو فى داره ، كان باختصار : ضابط بوليس .

لتبقَ صامتًا يا (سامى) ريثما أرى ماذا يريد ، لا تخرج من الغرفة ولا تضطرب : نحن لم نخطئ ، وليس لأحد عندنا شيئًا .

www.dvd4arab.com

التقطتُ نفسًا عميقًا ، وفتحت الباب :

ــ هل من خدمة ؟

ــ أعتذر للإزعاج ، معك نقيب (حازم صبحى) ، الحقيقة جاءنا بلاغ عن اختفاء الأستاذ (سامى عزيز) .. فقدّرت أنك قد تعرفين شيئًا ..

ثم صمت ينتظـــر ردى ، أدرتُ إليـــه السؤال لأكتسب بعض الوقت :

ــ من ؟

ــ (سامى عزيز) ، ألا تعرفينه ؟

تمثلتُ التذكر :

ــ بلى .. هل تقصد الصحفى بجريدة (المجهول) ؟

ــ نعم ، ولكنى لا أسألك لصفته المهنية ، وإنما لصفته الشخصية كخطيب سابق لك .

الوغد الذى يعرف كثيرًا :

ــ نعم ، أعرف هذا ، لكنى لم أرد أن أفصح لحساسية الموقف ، أنت تعرف أن الخطبة انتهت منذ زمن طويل ، وأننى تزوجت بعد هـــذا .

ثم أضفت بنبرة جاهدتُ كى تبدو طبيعية :

ــ كما أنه تزوج أيضًا .

ــ وهل التقيتما قريبًا ؟

ــ لا ، لم أره منذ انتهاء الخطبة .

ــ ولكن سكرتيرته تقول أنه اتصل بك لتحديد موعد للاتفاق على عمل ما .. أليس كذلك ؟

الوغد الذى يعرف أكثر من اللازم :

ــ لا ... أعنى ... هو اتصل فعـــلاً ... لكنى اعتذرت له لانشغالى ، لكن ....

علا الارتباك بصوتى فسارعتُ أخبئه خلف سؤال كهذا :

ــ لكن ما الأمر ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

بدت عدم المبالاة على وجه الضابط :

ــ حسنًا ، عن نفسى لا أتوقع أن الأمر خطير خاصة أنه لم يمضِ على اختفائه أربع وعشرين ساعة بعد ، ولكننى أحقق فى اختفائه بشكل ودّى تقديرًا لمكانته الصحفية ولقلق أسرته عليه . إن زوجته قلقة جدًّا وتخشى أن يكون قد تعرض لحادث أو ــ لا قدّر الله ــ مات .

ــ لا ، لم يمت .

قلتها بسرعة ، قلتها بحزم ، قلتها دون أن أدرى أننى قلتها ! ها هــو يصوّب نظــرته إلى ، ها هو يتفحصنى باهتمام كما تتفحص الأطفــال الخنافس ، أو النساء الجواهر ، أو الضبّاط المجرمين .. ثم بالنهاية يسألنى السؤال الوحيد المنطقى بعد ما قد سبق :

ــ وكيف عرفت أنه لم يمت ؟

ــ لا أعرف . ... أعنى أنه بالأمس فقط اتصل بى فكيف يموت بهذه البساطة ؟

تابع تفحصه فى وجهى كأن لم تعجبه إجابتى ، دقيقة طويلة أربكتنى وإن استمرت لثانية أخرى سأعترف بكل شىء ... بحثت سريعًا عن شىء أقوله ليقطع الصمت ، هتفت :

ــ هل انتهيت ؟

ــ هل تسمحين لى بتفتيش الشقة ؟

تملكنى ثباتٌ عجيب ، ثبات من لم يعد يخشى افتضاح أمره ، لأنه قد فُضِح بالفعل . أجبتُ :

ــ لا .

ــ ماذا ؟

ــ هل توجه لى اتهامًا ؟

ــ ولنفترض .

ــ أنت قلت أنك تحقق بشكل ودى ، فهل توجّه لى اتهامًا ــ أيضًا ــ بشكل ودّى ؟

تطلع للحظة إلى ، ثم منحنى ابتسامة ظفر ، فبالرغم من عدم تفتيش البيت ، إلا أنه قد حصل على ما يبحث عنه ، استدار فيما يرفع يده ملوحًا من خلف ظهره ويقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ سنلتقى .

أغلقت الباب خلفه وأسندت ظهرى إليه بينما أقول :

ــ قل : إن شاء الله !

بنا يا (سامى) سريعًا ، لا يوجد وقت ، يجب أن نختفى عن الأنظار بأقصى سرعة ، سأؤجر مكانًا هادئًا فى مدينة ساحلية ما ، لن تجد زوّارًا كُثُر فى هذا البرد من العام .

سوف نحصل على شهر عسلنا الذى استبدلونا فيه .

وسوف نتراشق بالماء والرمال ..

وسوف أُسمِعك كلامًا ، لم تكن لتسمعه من زوجتك ولو بعد ألف عام !

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر،

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

5

الأقـوى ذاكرة !

ها هى الحقائب ..

ها نحن على سفر / على هرب ..

مترادفان !

أحضرتُ لك الكثير من الملابس ، (سمسم) ، إنها ملابس (كامل) لكن أعرف أنها ستناسبك ؛ فكلاكما له ذات الجسد الفارع ، والقوام الممشوق ، وذات الوسامة التى تخطف أبصار البنات .

لا أدرى يا (سامى) إذا كنتما متماثلان بهذا القدر فلماذا ترجح كفتك ، برغم أنى تزوجته هو !

أفكّر أن قلبى فى كفّتك ، وهو يثقلها بالتأكيد ..

ولكن أتظن يا (سامى) ــ بآثامى فى حبك ــ هل يوزن قلبى بأثقل من ريشة ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

دعك من هذا ، وانفض الذباب عن وجهك . والآن اسمح لى أن أساعدك على ارتداء هذا المعطف ، فالجو سيكون باردًا ، وأنت مثلج الجسد بالفعل .

وقد رتبتُ مع وسيط عقارى لتأجير شاليه ، ولنأخذ قدرًا من الطعام والشراب أيضًا ، ولو أن شهيتك لا تعجبنى هذه الأيام .

إذًا ، ماذا بقى ؟ آه .. لحظة واحدة .

هذا المقعد المتحرك استخدمته سابقًا حين أصيبت ساقى جراء إحدى اللعنات[1] ، وإذ أعرف نفسى جاذبةً للمشكلات فقد قدّرتُ أنى سأحتاجه ثانية ، وها نحن ! سأساعدك كى تصعد إليه فإنك متعب ولن تقدر على السير .

قد أعانى يا (سامى) فى الوصول إلى الشاليه ، ولن تكون كمعاناتى فى الوصول إليك ، سوف أستدعى المصعد ثم نخطو معًا خطوة بخطوة إلى السيارة .

وربما يأخذنا الطريق ، سأعزفك إلى أغنية ستعجبك كثيرًا ، أنا أعرف ذوقك ، استمع :

(1) المزيد عن هذا برواية (العطايا السوداء) العدد الأول .

♪

هذه ليلتى وحلم حياتي

بين ماضٍ من الزمان وآتِ

الهوى أنت كله والأمانى

فاملأ الكأس بالغرام وهاتِ[1]

♫

لا أستطيع أن أصبر يا (سامى) حتى نصل ونبدأ شهر عسلنا ، سنصنع من الذكريات بقدر كل ما فاتنا ، وبما يكفى لنذكره لباقى عمرنا . وإن أرهقك التذكّر يا (سامى) فلا تنشغل به ، سأذكرها وحدى عنّا معًا ؛ فنحن الفتيات يا (سامى) أرق مشاعرًا منكم ، وأقوى ذاكرة ، وإذا أحببنا ، يمكننا اختصار الكون فيكم ، ثم الاحتفاظ بكوننا بعيوننا .

(1) (هذه ليلى) كلمات : جورج جرداق ، ألحان : محمد عبد الوهاب ، غناء : السيدة أم كلثوم .

Looloo
www.dvd4arab.com

♪

بعد حينٍ يبدل الحب دارا

والعصافير تهجر الأوكارَ

وديارًا كانت قديما ديارا

سنراها كما ترانا قفارا

♫

جرّبنى ، (سمسم) ..

يمكننى أن أذكرك بأشياء بعيدة ، ويمكننى أن أنسيك أشياء وشيكة ، ويمكننى حتى أن أعمل كذاكرة لك : لو أردت أن تبحث عن عبارة قلتها منذ سنين فى موضوع عابر ثم نسيتها ، فسلنى أنا . لو أردت أن تعرف ما كانت درجاتك فى مادة ما فى أحد الأعوام الدراسية ، فمن غيرى يجيبك؟ ولو أردت أن تعرف بأى مقدار أحببتنى ، سأخبرك .

♪

والمساء الذى تهادى إلينا

ثم أصغى والحب فى مقلتينا

لسؤال عن الهوى وجواب

وحديث يذوب فى شفتينا

♫

أحببتنى بقدر كل الساعات التى جلستَ فيها تحصى رموش عينى لأنك لا تريد أن يفوتك رمشًا بعينى لم تحصه . بقدر كل الدموع التى مسحتها عنى لتطمئننى أنك لن تسمح لشىء أن يفرقنا عن بعضنا . بقدر كل التفاصيل التى نسجناها معًا عن مستقبلنا وبيتنا وحتى أسماء أطفالنا . وبقدر كل الرهانات التى ربحتَها من تنافسنا على قول أكبر عدد من كلمة 'أحبك' فى مدى زمنى قصير ، أحببتنى .

Looloo
www.dvd4arab.com

♪

قد أطال الوقوف حين دعانى

ليلمّ الأشواق عن أجفانى

فادنُ منى وخذ إليك حنانى

ثم أغمض عينيك حتى ترانى

♫

أحببتنى بقدر كل الساعات التى جلستَ فيها ساكنًا خلف شاشتك تنتظر أن تلمح نشاطًا لى أو تحديث حالة . بقدر كل الدموع التى بكاها غيرك من تأثرهم بقصائدك عن الشوق إلى . بقدر كلّ التفاصيل التى بت تتخيلها حين 'قد' تلقانى صدفة ، وحتى نقوش مفرش الطاولة . وبقدر كل الرهانات التى خسرتَها من إرسال صلوات إلى السماء لتتمكن مرة من رؤيتى ، أحببتنى .

♪

وليكن ليلنا طويلاً طويلاً

فكثير اللقاء كان قليلاً

♫

أحببتنى بقدر كل الأيام التى أخبرتنى فيها أنك تحبنى ، كل الليالى التى أخبرتنى فيها أنك تحبنى ، كل الأعوام التى أوهمتنى فيها أنك تحبنى ... ألم تحبنى ؟

♪

يا حبيبى طاب الهوى ما علينا

لو حملنا الأيام فى راحتينا

صدفة أهدت الوجود إلينا

وأتاحت لقاءنا فالتقينا

♫

أنت أحببتنى .

صدّق هذا أو أنكره أنت أحببتنى بقدر كل معنىً بكل حرف بهذه الأغنية هزّك ولامس شيئًا فى داخلك حتى دفعك دفعًا لأن تهدينى إيّاها ، ثم تنسى كل شىء عن هذا وتظننى سأنسى مثلك . أنا لا أنسى يا (سامى) ، ولست أتطفل عليك أو أفرض نفسى ، أنت حقى . ولولا تشجيعك لى ما كنتُ تورطتُ فيك لهذا المدى ،

www.dvd4arab.com

وليس لك الآن أن تصدّنى أو تلعب دور المشغول الذى يتطلع فى ساعته ويدير وجهه . انسَ أن تنسانى يا (سامى) ، انسَ أن أسمح لك أن تنسانى . إننى لا زلت أنا يا (سامى) .. لا زلتُ أنا : النعمة التى شكرت الله عليها صبَاحَ مساء ، قطعة الجنة التى أهداك إيّاها ، وقطعة السماء التى ستصلّى لتصل إليها .

♪

فى بحارٍ تئن فيها الرياح

ضاع فيها المجداف والملاح

كم أذلّ الفراق منا لقاء

كل ليل إذا التقينا صباح

♫

ألم أقل لك :

سوف أذكّرك بأشياء لم تكن لتذكرها ،

وسوف أنسيك أشياء لم تكن لتنساها ،

وسوف تجدنى الأقوى ذاكرة !؟

♪

يا حبيبًا قد طال فيه سهادى

وغريبًا مسافرًا بفؤادى

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر

فتعالَ أحبك الآن أكثر

♫

Looloo
www.dvd4arab.com

6

من دون الكون !

آه ..

ما أطول هذا الطريق ! وما أحوجنى إلى كوب من الشاى يبقينى يقظة !

هل تمانع أن أرتكن إلى جانب ثم أذهب لشراء كوب شاى من الاستراحة ؟

لن أغيب .

هناك صف قصير من الزبائن أمام الساقى الوحيد الذى يعمل كنحلة فى مريولة بيضاء .. أهم خطوتين وأتخذ دورى ومن الجيد أن فعلت لأنه تبعنى آخرون .

الجو بارد هنا ، لكننى لا بأس بى .

الإضاءة ضعيفة ، لكننى على ما يرام .

الأجواء مقبضة ، وأنا مللت ادعاء أننى بخير .. أنا خائفة يا (سامى) ، ولا أدرى لِم !

يطالعنى رضيع من فوق كتف الفتى الواقف أمامى بالصف ، يمد الطفل يده يداعب أنفى فأبتسم .. يزيل قليلاً من توترى ، يربت الفتى على ظهره فيتبدل وجه الرضيع فيما يتقيأ على وجهى ما كان بمعدته ، تلجمنى الصدمة ، يلتفت إلى الفتى لحظة فأقول : سيعتذر ، لكنه يرمقنى بنظرة ساخطة ثم يعود للصغير فيضربه على وجهه ، ثم ينزل إلى صدره يزيل ما علق به من وسخ ، ثم يتابع الضرب .. أزيح الوسخ عن وجهى سريعًا وأحاول التدخل لمنعه عن الطفل الذى ألجمته الصدمة مثلى فلم يستطع حتى أن يبكى ، لكن الفتى يمنعنى بإشارة حازمة من يده :

ــ لا شأن لك ، إنه يستحق الضرب ، ألا يكفى أن عطلنى بتنظيف ملابسه بينما أمنا تنتظر ؟

أهم أن أقول شيئًا ، ولكن يشتت انتباهى أحدهم ويبدو أنه قد وصل متأخرًا وأراد الحصول على دورى بالذات ، لكنى منعته بحزم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ عذرًا ، إنه مكانى يمكنك الوقوف بآخر الصف .

أشاح بيده عنى ، وترك المكان أمامى فيما يعيد المحاولة للوقوف خلفى ، ولكن الواقف خلفى بدا متمسكًا بدوره أيضًا وقد أعلى من صوته :

ــ ما بال الأخلاق انعدمت بهذا الزمان ! أتجيء لتوّك وتريد أن تحصل على دور الواقفين من قبلك ؟ أتريد أن تسطو على دور المسنين والعجائز وأمنا التى تنتظر ؟

تخرق الكلمة أذنى .. ما بال أمهم التى تنتظر !

يتقدم الدور فأجدنى أمام الساقى وقد أولانى ظهره ، أعلى من صوتى لينتبه إلى :

ــ كوب شاى من فضلك ، سكر قليل .

يلتفت فورًا فإذا بيده كوب الشاى يناولنى إياه من دون كلمة ، أكان يعرف مسبقًا أنى سأطلب شايًا بهذه المواصفات ؟! مهما يكن ، لآخذ كوبى وأركض من هنا . أمد يدى لأتناوله لكنه يسحب يده فيما يطوى أصابعه على الكوب الورقى فينساب الشاى ساخنًا

يحرق يده .. يتصاعد بخار الماء ، يتساقط الشاى عبر أصابعه ، ويتساقط معه الجلد عن أصابعه ، لا يصرخ ، أنا أصرخ .. يتجعد وجهه ويتشقق جلده فيما يقول لى :

ــ ألم تلحظى بعد أن أمنا تنتظر !؟

ألتفت .. أركض بجنون لا أرى أمامى ... أتوقف على مسافة من السيارة .. أطالعها من البعد ، أصرخ ، أتابع الركض .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا يا (سامى) .. لابد أننى فى كابوس .. لابد أننى سأصحو فأجد أنهم ليسوا حولك فاتحين باب السيارة ومحاولين إخراجك منها .. هؤلاء المسوخ ذوو الجلود المتساقطة لتوسّخ أثوابهم البيضاء لا يمكن أن يأخذوك عنى يا (سامى) . لا يمكن أن يبعدوك عنى هؤلاء المسوخ ذوو الألسن المتحركة بالكلمة الواحدة :

ــ أمنا تنتظر .

أمنا تنتظر ..

أدفعهم ، أزيحهم عنك ، بكل طاقتى أقذف بهم بعيدًا ، بكل قدرتى على حبك أحاربهم ، يحيطون بى ، يشتتونى لكننى سأنجح

www.dvd4arab.com

يا (سامى) .. بقدر ما أريدك جوارى سأنجح . أعيدك إلى مقعدك ، أغلق بابك وأسرع إلى الجانب الآخر فأصعد وأركض .

اهدأ يا (سامى) .. لا تجزع .. إننا بخير .

ردد خلفى فى كل مرة :

إننا بخير .

إننا بخير .

إننا بخير .

ربما نصدقها فى ذات مـــرة . أنا لا أدرى ما يحـــدث لنا يا (سامى) ، لماذا يريدون أن يأخذوك منى ؟ أكثير علينا أن نجتمع بعد هذا العمر من العذاب ؟ هؤلاء من أرسلهم ؟ من أمهم ؟ وماذا تريد منّا ؟

إن الكون لا يصدّق رجوعك إلى يا (سامى) . من يقول إن الحياة تعود للميت ؟ من يقول إن الأم تعود لليتيم ؟ ثم من يقول إن لليتيم أن ينعم بكعكة ؟

لقد التبس على الطريق يا (سامى) .. لنسأل عند هذا المدخل :

ـــ من فضلك .. كيف يمكننى أن أذهـــ ...

يوقفنى بإشارة من يده ، يبسط يديه إلى الأمام :

ـــ اسلكى هذا الطريق إلى الأمام مباشرة ..

أنظر إلى جلد ذراعه المتساقط عن يده المبسوطة .. أنظر إلى وجهه الذى صار كابوسًا بشريًا فيما يتابع حديثه :

ـــ ولا تتلكئى ؛ فإن أمنا تنتظر .

أدير وجهى للأمام وأركض بأقصى سرعة .

أقف أمام الشاليه ، من حسن الطالع أن الليلة شديدة العتمة ، وأن الكاب الذى ترتديه يخفى أغلب وجهك ، لا أريد للوسيط العقارى أن يتشكك بنا ، فقط استمر بالنظر للأسفل .

ها هو يمشى بتؤدة ، هل هو منهم ؟

أنا تعاملت معه سابقًا أثناء حياة (كامل) ، كما أنه لا يرتدى الأبيض ، فهل هذا يكفى ؟

يصيح فيما يقترب :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ مرحبًا يا مدام .. عظيم أن رأيناكما بعد هذا الزمن !

يلتفت إلى المقعد فيقول فى أسى :

ــ لا حول ولا قوة إلا بالله ! ماذا أصاب الباشمهندس ؟

ــ مريض كما ترى ، ومتعب من الرحلة ، وقد نصحه الأطباء بتغيير الجو .

أميل عليه وأخفض صوتى :

ــ كما أنه يخجل من نظرات الناس إليه ، فلا تطيل النظر .

يبتلع الحيلة على الفور :

ــ حسنًا ، حسنًا ، تفضلا .

يفتح الشاليه ثم يسعل من الهواء المكتوم :

ــ دقائق وسأرسل لكما سيدة للتنظيف .

أعاجله :

ــ لا ، لا ، ليس هناك داعٍ سأقوم أنا بهذا .

ــ هذا لا يصح أبدًا يا أستاذة ، بل سأرسلها لكما حالاً .

ــ أرجوك ، ليس هناك داعٍ ، إننا متعبون وسننام مباشرة ، وغدًا نرى ما نفعل .

يستسلم مرغمًا :

ــ حسنًا ، كما ترين ، لو احتجت شيئًا أخبرينى .

ثم يستدير معـادرًا ، فأغلق البـاب من خلفه وألتفت إليك يا (سامى) .. هـل تعـرف أننى اشتقت إليك .. تعبتَ كثيرًا اليوم ، أعرف هذا .. دعنى أضبط هندامك ..

هل آلموك إذ يجذبونك ؟

هل ثمة خدشات بظهرك ؟

دعنى أرى .. لا تخجل منى ..

دعنى أعنى بك كما كنتُ أفعل فيما مضى ..

ما هذا ؟ ثمة بقع خضراء منتشرة بجسدك ...

هل تؤلمك ؟

يجب أن نرى طبيبًا سريعًا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

انعم بالنوم الآن يا ملاكى ، وغدًا سنمرح ونلعب وننزل إلى الماء ، وسنجد طبيبًا ليس فضوليًّا ، وفى الغد العظيم ، سنجد حلاً لكل المشكلات .

تعالَ معى إلى الداخل ، أبدل ملابسك ، وأنظّف غرفتك بنفسى ، لن أدع سيدةً غيرى تقوم بخدمتك .

أحلام حلوة أيها الملاك الصغير .

أخرج إلى الصالة .. أمرر إصبعى على طول المائدة ، ثم أرفع إصبعى المترب أمام وجهى . أنفض يداى ببعضهما فى حين تقع عينى على مظروف على المائدة . تتجمد نظرتى عليه .

أتفحصه فيما أنفض التراب عنه ، منذ متى وهذا الخطاب هنا ! أفض المظروف وأقرأ :

« عناية الأستاذ (سامى عزيز) . »

يرتجف بدنى لقراءة اسمك !

"سبق وأن أرسلنا إليكم ندعوكم إلى حفل تكريمكم ، وقد تحدد الموعد والمكان فلزم إعلامكم بهما . أما عن الموعد فهو عاجل جدًا ، وأما عن المكان فأية بقعة من أرض الله تناسبكم ، ستكون مناسبة لنا .

وبرجاء ملاحظة أن التأخير لن يكون فى صالحكم ؛ إذ أن أمنا تنتظر .

وافر تحياتنا .

جماعة (أبناء الأرض) »

الأرض !

هل كانت دائمًا الأرض ؟

وماذا تنتظر الأرض منّا ؟

أنا متعبة جدًّا ، واهنة جدًّا ، ويبدو أن على أن أحارب الكون كله من أجلك يا (سامى) ..

ألقى بثقل جسدى فوق مقعد ، يتناثر التراب فى الهواء ، رائحة التراب صارت تخنقنى وملمسه يقزز نفسى .. ليست فكرة سيئة حقًا إرسال سيدة للتنظيف! يصنع التراب دوامات حولى ، يدخل فى عينى ، يتسلل إلى رئتى ، تدوّى طرقات على الباب ، يترسّب على وجهى ، تعلو الطرقات ، يدفننى .. أنتبه : (سامى) ! لستُ المقصودة ، أنت يا (سامى) ! أركض إلى غرفتك ، أفتح

Looloo
www.dvd4arab.com

الباب فتضربنى عاصفة التراب ، أخترقها إلى فراشك ، أزيح طبقات التراب الكثيفة وأرفعك إلى . أحميك بجسدى وأزود عنك بكلتا يدى ، أطوّح ذراعاى يمنة ويسرة لأشتت العاصفة . تلتصق وجوه متآكلة بالنوافذ تردد :

ـ أمنا تنتظر ..

أمنا تنتظر ...

أهتف بهم :

ـ ابتعدوا عنّا ! ماذا تريدون منّا ؟

ـ أمنا تنتظر .

أمنا تنتظر ..

أصرخ بهم :

ـ أمكم تنتظر ، وأنا لم أنتظر !؟ لن أدعكم تأخذوه منى بعد طول ما انتظرت .

ـ أمنا تنتظر .

أمنا تنتظر ..

أستجمع أنفاسى ، أداهنهم :

ـ أخبروها أن تمهلنى .. اليـــوم فقـــط وصلنى خطابها ، أخبروها أنى سألبى الدعوة ولكن لتمهلنى بعض الوقت ..

تهدأ العاصفة ، تبتعد الوجوه ، أنظر إليك ، أزيح ذرات التراب عن جبينك ، رموشك ، وجنتيك ... أريحك إلى الفراش وأنام جوارك ، أستدير أنظر إليك .. لا أكاد أستطيع أن أبقى عينى مفتوحتين ، ولا أكاد أطيق إغماضهما عنك .

سوف أبقى متيقظة إذا ما عادوا إليك ،

وسوف أغنى لك حتى تروح فى النوم ،

وسوف تكون آمنًا بحضنى ، من دون الكون .

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر،

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♪

Looloo
www.dvd4arab.com

7

ما صنعته يداى !

الصباح ، الصباح !

هيا يا (سامى) دعنا لا نضيع الوقت ، فما جئنا لننام .. هيا بنا إلى البحر !

ألا تقــم ؟

لا تكن كسولاً ، فأنا مثلك لم أنم غير القليل ، ولكنه بقدر ما يكفى ؛ فما جئنا إلا لنمرح ، ولن نجد أفضل من الفجر حيث الناس نيام مغمضون عيونهم الفضولية .

ألن تقوم إذًا ؟

حسنًا ..

لا تقل إنى لم أحذرك ..

سأغيب لحظة فقط ،

بعدها أعود وأنثر رذاذ الماء على وجهك هكذا ...

هاهاها !

ها !

.

.

.

لماذا لا تضحك معى ؟

أستند بظهرى إلى ظهر السرير ، وأضمم ساقاى إلى صدرى :

سأخاصمك .

أنتفض عن السرير :

ولكن ليس الآن ،

فأنا أريد أن أحدّثك بموضوع هام ، بينما نرمق البحر .

Looloo
www.dvd4arab.com

دقائق من الاستعداد وتنعم بجمال الطبيعة .. وكم أود لو أرفع عنك النظارة الشمسية لتتمتع بالألوان الطبيعية للكون ، ولكنك تعرف أنها قطعة ضرورية .

لا أريدك أن تقلق مما حدث بالأمس ، إننى أعرف كيف أتعامل مع أمثال هؤلاء ، فلا تلقِ بالاً ولا تدعهم ينغصـــون استمتاعنا بالبحر .

لا أريدك أن تنشغل بالخطابات المليئـــة بالتراب ، أو المسوخ الذين يطرقون الباب ، أو أمهم التى تنتظر . لا تنشغل بالبوليس ، لا تنشغل بزوجتك ، ولا تنشغل حتى بى أنا ، فقط أفرغ قلبك وعقلك لما سأقول ، سآخذك بعيدًا عن السياق ، ولا يمتعض الناقد فى داخلك ، فإن لدى من الكلام ما هو أهم وأعمق مما سبق ، لدى سر صغير ، بسيط ، وعميق ، ويثقل روحى ، ولئن لم أبح به الآن حالاً لاختنقتُ تحت وطأته . أريد أن أخبرك ...

أريد أن أقول ...

أنى ..

أنى ...

أحبك .

أحبك يا (سامى) .. نعم ، هذا كل شىء !

(ليلى) كبّدتك مشقة الظهور خارج المنزل وما قد تحمله من مآس لهاربيْن مثلنا فقط لتخبرك أنها تحبك ، فهل تغفر لها فساد منطق السرد ؟

إن الكاتب يا (سامى) ليملك فرصة مذهلة ليست لأحد من البشر : أن يتحدث ويتحدث على مدار ساعات ، صفحات ، وربما مجلدات فينقل للناس آراءه السامية فى الحياة والوجود والناس ... أما أنا يا (سامى) ، فلأن أذكرك أول السطر وآخره أحب إلى من أن أكتب أعظم رواية بالوجود ، ولأن أوجّه إليك كلمة تعجبك ، أحب إلى من أن يمنحونى جائزة (نوبل) على الرواية سالفة الذكر ، فهل تدرك الآن مدى تعقيد سرى البسيط !؟

إن الطريق الوحيد الذى أعرفه لهو الطريق الذى يقود لك ، ولو هناك ألف طريق فإنهم يتقاطعون فى نقطة تقـــود لك ، لهذا يا حبيبى أعرف أنى سأتغلب عليهم .. لأنهم لو أقفلوا لى طريقًا إليك ، تظل أنت الطريق .

Looloo
www.dvd4arab.com

سأجلس هنا عند قدميك .. أبنى بيتًا من الرمال ... أرفعه دورًا دورًا .. وإذا أسقطته الرياح ، إذا غمره الموج ، أو داسته الأقدام .. سأبنيه من جديد .

لكن ما باله لا ينبنى للأعلى ؟! إنه يخترق الأرض .. ينحفر داخلها ، تمتد الحفرة لتأكل ما حولها ... تنشق الأرض عن قبر مثالى .. تمتد الأيادى المتساقطة تسترشد طريقك ، تتلمسك ، تجذب مقعدك إلى الأسفل ، تردد بإيقاعها الرتيب :

ــ أمنا تنتظر .

أمنا تنتظر ..

أتشبث بك ، كقارب نجاة ، كآخر قارب نجاة ، إن رحل عنى أموت .

كأنفاسى ، كآخر نفس لى .. لو خرج منى أموت .

كروحى ، ليس عندى سوى واحدة ... لن أدعهم يأخذونها .

يتشبثون بك كقارب نجاة ، كأنفاسى ، كروحى يسحبونها سحبًا للخارج ... تميل إليهم ، تبتلعك الأرض رويدًا ، ألتفت أصرخ بالكون من بين دموعى :

ــ انجدونى أيها الناس ... لينجدنى أحد ... لينجدنى أحد .

يركض إلى فتى على البعد ... ترتبك الأيدى للحظة ، تهبط سريعًا للأسفل .. يسرع الفتى بسحبك إلى الخارج ، أساعده بخلخلة الرمال حولك .. يصيح فيما يعمل :

ــ كيف حدث هذا ؟

ــ يبـــدو ...

أبتلع ريقى :

ــ يبدو أنها بقعة رمال متحركة .

ــ هذا أمر عجيب !

أهز رأسى مؤيدة فيما أمسح دموعى وأستعيد روعى ، أستند بيدى إلى ذراع الفتى وأقول بكل مشاعرى :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أنت أنقذت حياتى ... لا أدرى كيف أشكرك .

ــ هذا واجبى .

ألتفت إليك ، أعدل من جلستك ، أنفض ذرات الرمال عنك ، يعاجلنى :

ــ هل هو بخير؟

ــ نعم ، سيكون كذلك .

ــ إنه لا يتحرك .

ــ إنه مريض .. لا يستطيع أن يحرك سوى عينيه ، سيكون بخير حين يرتاح بالبيت .

يطالعنى بنظرة فيها من الأمانى بأكثر مما قد تحتمل :

ــ هل هو ...؟

ــ زوجى .. إنه زوجى .

تبدو بعينيه خيبة الأمل ، يتداركها فيما يقود مقعدك :

ــ إذًا ، دعينى أساعدك فى الرجوع ، فإنكما تبدوان بغاية الإرهاق .

بالطريق يختلس نظرات إلىّ .. لا شك أنه يفكّر أننى امرأة جميلة ، ولا أتجـــاوز الخامسة والعشرين على الأكثر ، وهو ما يجعله يسأل نفسه : ما الذى يجعلنى أتمسك بزوج قعيد ؟ ولكنه يسألنى :

ــ إذًا ، هل أنتما فى إجازة ؟

ــ نعم ، لتغيير الجو ، نصحنى الطبيب بهواء صحى يساعده على الاستشفاء .

وأختلس نظرات إليه .. إنه فتى صغير ولابد أنه يصغرنى بخمسة أعوام على الأقل ، وهو ما يجعلنى أسأل نفسى : ما الذى يعرفه هذا الفتى الغض عن لوعة العشق ؟! ولكنى أسأله :

ــ وهل أنت معتاد على الخروج إلى البحر فى مثل هذا الوقت الباكر ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ الحقيقة ليس دائمًا ، لقد كنت خارجًا فى مهمة محددة ..

ـ وما هى ؟

ـ لا أدرى إن كان بوسعى أن أخبرك !

ـ ولِمَ لا ؟

ـ لأننى لستُ متيقنًا أنه بإمكانى أن أخبرك .

رفعتُ حاجباى للحظة .. ثم توليتُ تحريك المقعد :

ـ حسنًا ، ها هو الشاليه .. شكرًا لك .

وتوجهنا إلى البيت .. كان نهارًا طويلاً يا (سامى) ، والطريف أنه للتو بدأ !

من يصدق أن لنا معًا ثلاثة أيام فقط ! إنها تبدو كعمر يا (سامى) ، كعمر إضافى على عمرنا ؛ لأننا كنا أطفالاً طيبين فى العمر الأول .

كم نحتاج إلى الراحة ، ولكم صرتُ أخشى هذه الكلمة ؛ فكلما سعيتُ إليها حلّت كارثة ، وهذا بالضبط يذكّرنى بنبوءة جدتى !

سوف أتوقف عن نعى حظّى يا (سامى) ..

وسوف أصنعه بيدى منذ هذه اللحظة ..

وسوف أهديك ما صنعته يداى ..

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر،

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

Looloo
www.dvd4arab.com

8

بعدها بالانتظار !

ثمة دقات جديدة يا (سامى) ، لكنها لا تشبه دقات أولئك الأوغاد ، فهل أفتح ؟

أفتح فرجة من الباب وأنظر .. تضيق عينى فيما أحاول التذكر ، تتسع عينى فى فزع ، إننى أعرفها ، أعرفهما ، لقد رأيتهما سابقًا ، رأيتهما فى ... محفظتك يا (سامى) .. يصيبنى الدوار ، أنقّل بصرى المشوش بينها وبين الطفلة الملائكية بجوارها ، أخيرًا تقول :

ــ مرحبًا ... أنا لا أقصد إزعاجك لكن ....

كيف وصلَت إلى هنا ، من دلّها ، هل تعرف ؟ ماذا تريد ، تتابع :

ــ اعذرينى .. أنا لا أدرى ماذا أفعل !

أتمالك نفسى ، أحاول أن أبدو طبيعية :

ــ عفوًا ، ما الأمر ؟

ــ هو الأمر غريب .. لا أعرف من أين أبدأ لكن . ... أنا زوجى غائب منذ ثلاثة أيام وأخشى أن يكون قد ألمّ به مكروه ..

ــ وما ... علاقتى بهذا ؟

ــ لا أعرف ، أعنى ... قد يبدو الأمر غريبًا لكنه زارنى بالحلم أمس ، وكان يبدو تعسًا جدًا ، ودلّنى إلى هذا العنوان . هكذا منذ ساعات الصباح الأولى وأنا أقود حتى وصلتُ إلى هنا ، علّنى أجده أو أجد أى إرشاد عنه ، فهل أنتِ هنا وحدك ؟

يتمحور انتباهى حول نقطة محدّدة ، أدير إليها السؤال :

ــ هل قال لكِ أنه تعس ؟

تعجب لسؤالى ولكنها تجيب :

ــ لا ، ولكننى شعرتُ به ، أنتِ لا تدرين إلى أى حد نحن قريبان من بعضنا ! إننى أشعر به إذا تألم أو فرح أو بكى .. ولكم مرّت بنا من أزمات فلم تزدنا إلا اقترابًا من بعضنا ..

www.dvd4arab.com

تمسح دمعة بعينها فى حين تقول :

ــ هل يمكننى الحصول على كوب ماء ؟

ــ بالتأكيد ، عذرًا ألم أقل لك أن تتفضلى ، ولكن المنزل مترب فقد وصلنا أنا وزوجى بالأمس فقط ، فلتتفضلى ..

أشير إليها إلى غرفة داخلية فتسير وإلى جانبها قطعة الحلوى الشبيهة بك .. ما أحلاها وما أحقنى أنا بأمومتها! أغلق الباب عليهما حتى أعود بالماء وبعض العصير . أتفحصها إذ ترشف من كوبها ، أختزنها داخلى ، فأنا لن ألقى زوجة حبيبى كل يوم .

من الصعب أن أقول ذلك ، ولكن من السهل أن أعرف لماذا تزوجتها بالرغم من أنها ليست رائعة الجمال ؛ فبعينها نظرة شديدة البراءة كما طفلتك . ترفع بصرها إلى ، أخفض بصرى إلى الأرض ، تضع الكوب وتقول :

ــ أنا (رانيا) .

ــ وأنا ... (سلوى) .

ــ إذًا ، أنتِ هنا مع زوجك ؟

ــ أجل .

ــ ولم يصادفكما رجل ... إنه طويل وشعره أسود و... انتظرى ..

تقطع جملتها ، تخرج من حقيبتها صورة وتبسطها أمامى :

ــ هذه صورته .

أتطلع فيها ثانية :

ــ للأسف لا .

أضحك من سخرية القدر : ها قد أنكرتك أنا مرّة ! تبدأ فى البكاء من جديد :

ــ إذًا أين ذهب ! ترى ماذا حدث له ؟!

تثير أعصابى ! أربت على رجلها فى ضربات سريعة :

ــ اهدئى .. اهدئى .. لابد أنه بخير .

ثم أستدرك :

ــ هل أخبرتِ البوليس ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ نعم ، أخبرته يا مدام (سلوى) ، إنهم يشكّون بخطيبته السابقة ، إنها امرأة مجنونة ، كثيرًا ما حكى لى (سامى) عنها ، (سامى) زوجى ، إنها مهووسة به وظلت تطارده بعد إنهاء الخطبة ولم تستطع أن تقنع أبدًا بأنه لا يريدها .

ــ حقًا ؟

ــ نعم ، وقد رفضت تفتيش منزلها ثم هربَت لا يعرفون إلى أين . لا شك أنها خطفته وأجبرته على البقاء معها .

ــ وهل تعتقدين أن رجلاً ناضجًا كالذى بالصورة يمكن أن تخدّره سيدة وتصعد به إلى منزلها ، أم أن الأكثر احتمالاً أنه ذهب إليها بنفسه ؟

تتطلع إلى فى بلاهة . تقبع نظرة الرضا بعينى .

أناولها كأس العصير :

ــ اشربى .. اشربى يا مدام (رانيا) .

ترشف ، فيما أصيغ أنا سؤالى الجديد :

ــ وهل ... أخبرتِ البوليس عن الحلم ؟

ــ لا ، لم أفكر إلا أن آخذ سيارتى وآتى سريعًا إلى هنا .

ــ خيرًا صنعتِ ، فما جئتُ أنا وزوجى إلا للاستجمام ، إنه مريض ولن يتحمل زيارات البوليس وأسئلته المثيرة للأعصاب .

تضع الكأس على الصينية :

ــ أعتذر عن الإزعاج يا مدام (سلوى) ، واسمحى لى بالاستئذان .

ــ لا أبدًا ، نحن نساء مثل بعضنا ، وأتمنى لكِ أن لا تعثرى عليه .

ــ ماذا ؟

أجيب ببديهية :

ــ أن تعثرى عليه . ألم تسمعينى ؟

ــ عذرًا ، إن أعصابى مشوشة ، هل تسمحى لى باستخدام الحمّام ؟

ــ تفضلى .

Looloo
www.dvd4arab.com

أرشدها إلى الحمام ، وأعود أجلس جوار الملاك الأبيض الذى أنجبته يا (سامى) .. إنها هادئة جدًا وتضع إصبعها فى فمها فى خجل .. أزيح خصلات شعرها لأنظر إلى عينها .. ترفع رأسها إلى وتقول :

ــ هل تعرفى أين بابا يا طانط ؟

أهز برأسى أن لا . فتقول :

ــ لكنى أتمنى أن يكون معي ؛ فأنا أحبه كثيرًا ، إننى أنتظره يا طانط ، وماما تنتظره ..

تمد يدها فى سرعة لتقبض على ذراعى :

ــ أخبريه يا طانط أن أمنا تنتظر .

أنتفض سنتيمترات إلى الوراء .. أرقب الطفلة التى بدا لحم وجهها من أسفل الجلد ، أتركها خلفى وأركض إلى الخارج .. ألتقى بـــ (رانيا) تهم بالرحيل فأستوقفها :

ــ لحظة من فضلك !

ــ نعـــم .

ــ هل لكما ابنة ؟

ــ أجـــل ..

تسبل جفنها فى أسى :

ــ ولكنها توفت فى حادثة ، إننى وحيدة تمامًا الآن ..

ترفع رأسها إلى :

ــ ولكن ، كيف عرفتِ ؟

أرقب الطفلة التى خرجت عابرةً إيّانا إلى الخارج بينما تطرق بوجهها المتساقط وتضع عظم إصبعها فى فمها ، وأقول .. لا أدرى ماذا أقول :

ــ مجرد سؤال !

أقودها إلى الباب ، وأصافحها :

ــ تشرفت بمعرفتك يا مدام (رانيا) .

ــ وأنا أيضًا يا مدام (ليلى) .

تخرق الكلمة أذنى ، أنظر إليها بفزع :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ مـــاذا ؟

تتدارك الاسم :

ــ أقصد (سلوى) ، للتو كنت أفكر بخطيبته السابقة .. كان اسمها (ليلى) .

أومئ برأسى فى فهم ، أو عدم فهم :

ــ لا بأس ، لا بأس ..

أفتح لها الباب فيطالعنى وجه امرأة تبتسم .. تلجمنى الصدمة ، تتسلل زوجتك إلى الخارج فيما تقول السيدة ذات الروب الأبيض فى بشاشة :

ــ مرحبًا ، ألا تذكرينني ؟

تختلط الأوراق برأسى ، الوجوه ، الأصوات .. إن أعصابى مشدودة بأكثر مما تحتمل ، وخوفى والحال هكذا أن تنقطع . تذكّرنى :

ــ أنا جارتك ..

تشير بإصبعها إلى الأرض فيما تنظر إلى عينى بثبات :

ــ بالأسفل .

أترقب المصيبة القادمة فيما تتابع فى صبر :

ــ لقد اقترضت منك مجموعة من السكاكين ، وأتيت لأعيدها لك .

تمد يدها إلى بالمجموعة ، فأمد يدى بحذر ، لكنها تسحب يدها دفعة واحدة :

ــ ولكن ، هناك شىء !

ترقبنى بنظرة جامدة فيما تكاد تبتسم :

ــ إنهم ينقصون سكينًا ، وجدته من بينهم ملوثًا بالدماء ، وقد قدّرت أن البوليس يستهويه أن يفحصه .

يسقط فكّى فى فزع ، تقبض على ذراعى دفعةً واحدة فيما يتحول وجهها إلى وجه زومبى :

ــ وهذا لأنك لا تريدين الاستجابة لأمنا التى تنتظر .

Looloo
www.dvd4arab.com

تترك ذراعى وتغادر فى صمت ، لا أملك أعصابى ، أتهاوى إلى الأرض ، تلتقطنى ذراع أحدهم قبل أن أسقط ، أرتفع ببصرى عبر كم الجلباب الأبيض إلى وجه الرجل :

ــ سلامتك يا مدام .. ما بكِ ؟

لا أجيب ، أتابع النظر إليه فى ترقب ، يتابع الحديث :

ــ إننى جامع القمامة الجديد ، ألا تذكرينى .. لقد جئت لأعيد إليك شيئًا ..

أقول فى بلاهة :

ــ تعيد القمامة ؟

ينفى برأسه فى بديهية :

ــ بالتأكيد لا ، وهل هناك من يعيد القمامة؟ فقط هناك شىء هام ظننتُ أنه سقط منكِ بالخطأ فى القمامة ، إن الأمانة سمة عملنا يا مدام ..

تعلق عينى بيده إذ تفتح شواله وتخرج منه شيئًا ، ينشر قميصًا ممزقًا وملطخًا بالدماء أمام عينى ويقول :

ــ ألا يخصك هذا ؟

تتسع عينى فيما تستمر دموعها بالتساقط .. أمد يدى لأختطفه ، ولكنه يطويه عنى :

ــ ليس هكذا يا مدام ؛ يجب أن يثبت البوليس أولاً أنه يخصك .

ثم يقبض على عنقى ويقترب بوجهه الذى تشقق من وجهى ويقول :

ــ وهذا من أجل أن تصدّقينا حين نخبرك أن أمنا تنتظر .

يتركنى فأسقط مباشرة إلى الأرض ، يتعالى نحيبى للحظة ، ثم أسكت ؛ لم أعد بقادرة حتى على البكاء .

يدلف الحانوتى مـــن البـــاب المفتوح ، يتوقف أمامى لحظة فيشهق :

ــ هاه! أنتِ ثانيةً ! أبكل موضع عمل تخرجى لى كالعفريت ؟!

ثم يتابع السير ومن خلفه الصبيان ، يتراجع أحد الصبية فيميل يمنحنى خطابًا ويتابع التقدم .. يفتح الحانوتى أبواب الغرف فيما يتساءل :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أين المرحوم ؟

أفض المظروف بأنامل مرتجفة ، أقرأ بأعين مضببة :

« عناية المرحوم (سامى عزيز) ،

أمنا الأرض لا تمزح ، أمنا الأرض لا تترجّى أحدًا ، والأيام لم تنبئنا بمن لم يلبِّ دعوة الأرض . للمرة الأخيرة نذكّرك بأن أمنا تنتظر » .

تتشوش الرؤية تمامًا ، أمهم تنتظر ، تثقل رأسى جدًّا ، أمهم تنتظر ، يتلاشى العالم .. أمهم تنتظر ، أمهم تنتظر ...

الثوب الأبيض لجامع القمامة يتسخ ، أسأله : « ألا تخشى على ثوبك الأبيض أن يتسخ مما تجمع؟ » يدير إلى السؤال : « وهل يُخشى على الكفن الأبيض من الدس بالتراب !؟ »

أمهم تنتظر ، أمهم تنتظر ...

(كامل) يقف على البعد ، يتناول قميص (سامى) الممزق ويقول لى : « أتسمحين لى بارتدائه ؛ تعرفين ، الحى أبقى من الميت » . يُدخِل ذراعيه إلى القميص ولكنه يجد صعوبة فى

إغلاق الأزرار ، يلتفت إلى ويقول بامتعاض : « أأنا لى نفس قوام خلّة الأسنان ذاك !؟ »

أمهم تنتظر ، أمهم تنتظر ...

أمد يدى لمصافحة (رانيا) : « تشرفت بمعرفتك يا مدام (رانيا) » .

« وأنا أيضًا يا مدام (سلوى) » .

تخرق الكلمة أذنى ، أنظر إليها بفزع : « ماذا ! »

تجيب ببديهية : « (ليلى) ! ألم تسمعينى؟ »

« عذرًا ، إن أعصابى مشوشة ، ظننتك اكتشفتِ اسمى ! »

أمهم تنتظر ، أمهم تنتظر ...

تقـف أمى بالمحـكمة : « ابنتى بريئة يا سيادة القاضى ، إن هذا لا يعتبر دليلاً » . يرفع جامع القمـامة يده فيقـول : « يا سيادة القاضى أنا عندى اقتراح ، لنرَ إن كان قميصه قُدّ من قُبُل فصدَقَتْ وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قُدّ من دُبُر فكذَبتْ

Looloo
www.dvd4arab.com

وهو من الصادقين » . تصيح جارتى بالأسفل : « والسكين ! لا تنسوا السكّين ! »

أمهم تنتظر ، أمهم تنتظر ...

تقف (راتيا) بالمحكمة باكية : « لقد سرقتنى يا سيادة القاضى ، سرقت منى زوجى خطّافة الرجال » .

تهب امرأة تناييدها : « نعم يا سيادة القاضى ، وقد سرقتنى أنا أيضًا كما سرقت هذه المرأة » .

أصرخ بها : « وهل أعرفكِ من قبل لأسرقكِ أيتها الكاذبة ! »

تلتفت إلى مؤكّدة : « بل سرقتنى دون أن تعرفيننى يا محترفة السرقة ، ألم تسرقى اسمى وتدّعين أنكِ أنتِ (سلوى) ؟! »

أمهم تنتظر ، أمهم تنتظر ...

يتلاشى العالم كله ، أقف وحدى وسط الكون ، أصرخ :

« كل هذا وتقولون أنها تنتظر ؟! أخشى أن أمكم يا أبناء الأرض لا تجيد الانتظار ! »

أمهم تنتظر ، أمهم تنتظر ...

تقف سيدة جليلة بقاعة المحكمة : « أعرفكم بنفسى يا سادة : إننى أنا أمه ، أمه التى تنتظر ، ألا ترق قلوبكم لسيدة كم طال انتظارها فقط لتضم ابنها ؟! » أرمقها بنظرة نارية من خلف القضبان : « بالأفعال الحموات ! »

أمهم تنتظر ، أمهم تنتظر ...

(سامى) .. ها أنت يا ملاكى الجميل قد جئت .. إنك تهبط من السماء بجناحين يا (سامى) ، هل صرت ملاكًا حقيقيًا ؟ إنك تخطو نحو قفصٍ للملائكة ، ثم تغلقه خلفك ، إنك تخلع جناحيك ، تخلع ملابسك البيضاء ، ثم تخلع جلدك ليتساقط لحمك من أسفله ، فتمد عنقك وتردد : « متى يمكنكِ أن تطلقى سراحى لأذهب إلى أمنا التى تنتظر ؟ »

أمهم تنتظر ، أمهم تنتظر ...

يطالعنى أبناء الأرض فيقولون : « لماذا لا يحضر إلى حفل التكريم ؟ ما نريد إلاّ أن نكرّمه » ، أعاتبهم : « أهكذا يا أبناء

Looloo
www.dvd4arab.com

الأرض يكون التكريم !؟ » يتدخل الحانوتى بلا دعوة من أحد :

« إكرام الميت دفنه يا مدام » .

أمنا تنتظر ، أمنا تنتظر .....

يتكرر صدى العبارة يوقظنى :

ــ دفنه ، يا مدام !

أنتبه فإذا بالحانوتى يومئ لى مؤكدًا :

ــ أمّال !

يقولها بينما يسحبك يا (سامى) إلى الخارج . أسمع صوت الجرجرة الرتيب : لحظة من الجرجرة يتبعها فاصل من الصمت ، ثم عودة للجرجرة وعودة للصمت ، يعبر بك من أمامى ، ولمّا أملك مثقال ذرة من طاقة للحركة ، أو الاعتراض .

سوف يذهب بك إلى أمهم التى تنتظر ..

وسوف تقر عين أمك بك

وسوف لن تزعجنا بعدها بالانتظار .

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

Looloo
www.dvd4arab.com

9

أطلب المغفرة !

يتلاشى الحانوتى من مجال رؤيتى ، يتلاشى من خلفه جسدك ، يبقى بأذنى صوت الجرجرة .. يمر بى الصبى الأول راميًا العبارة :

ــ أمنا تنتظر .

يتبعه أخوه فيما يومئ مؤكّدًا :

ــ أمنا تنتظر .

ثم يجذب الباب خلفه بعنف ، يرتج الباب فلا ينغلق ، ترتج روحى داخلى .. أتلفت إلى الفراغ حولى ، يعلو نحيبى :

ــ (ســـــــامى) !

يصلّ الباب بينما يتأرجح ، يعلو صليله يُقشعِر بدنى فيما يتحرك ببطء نحو الانغلاق ، تعلق به عينى ، أستجمع تركيزى ، وقبل أن ينغلق بثانية ، أزيحه وأركض .

أجرى على إثرهم وأناديك بعلو الصوت :

ــ (ســـــــامى) !

يأتينى ردهم :

ــ أمنا تنتظر .

أمنا تنتظر .

ألاحقهم ، أدفع بالصبيين بعيدًا وأتمسك بك أجذبك إلى الخلف . يتوقــف الحانوتى ، ويرمقنى بنظــرة غضب مــن بين عضلات وجهه المتساقط :

ــ ألن ننهى مهمتنا فى يومنا هذا ؟

أحتضنك وأشدد عليك بين ذراعى :

ــ على جثتى أن تأخذوه ، فوق جثتى أن تأخذوه .

يطلق زفيرًا مرعبًا ، ثم تلتمع نظرة وعيد بعينه إذ يقول :

ــ إن كان هذا ما سيجعلنا نأخذه ، فتأكدى أننا سنفعله . لم تبقَ فى الصبر سوى قطرة ، هذه هى الكلمة الأخيرة ، من أمنا التى تنتظر .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم يلتفت مشيرًا للصبيين أن يتبعاه .

أعود بك إلى البيت ، أجلسك أمامى ، ثم أتحاشى النظر إليك . ثمة شيئًا مكسورًا بيننا يا (سامى) ، فهل تعرف ما هو؟

تمر الساعات من دون كلمة فيما بدا أنه الخرس الزوجى . يتملكنى الملل ، أفتح النافذة ، وأتسلى بالنظر من خلالها .. أنتبه إلى ذاك الفتى الذى قابلناه صباحًا ، إنه جالس تحت إحدى الشجرات ، ما الذى أتى به إلى هنا ؟

إنه يدير رأسه رويدًا إلى ، أبتعد برأسى سريعًا عن النافذة لكنه يصيح :

ــ مهلاً ...

أعود فأنظر إليه ..

ــ ها أنتِ أطللتِ أخيرًا !

ــ هل كنت تنتظرنى ؟

يضع يديه بجيوبه بينما تلوح نظرة خجل بعينه :

ــ ربما !

يتداركها سريعًا :

ــ هل يمكننا أن نتبادل بعض الحديث ؟

ــ ولكن أنا ....

لا يمهلنى ، يدور حول الشاليه باتجاه الباب ثم يعلى من صوته :

ــ افتحى لى .

أرتبك فى مكانى ، ثم أسرع فأفتح له ، وأُخفِض من صوتى :

ــ إن زوجى بالداخل .

ــ أعرف ، ولكن .. أنا بحاجة للحديث إليكِ .

ــ بشأن ماذا ؟

ــ بشأنك .. هل تعجبك الحياة التى تحيينها ؟

ــ وما لها حياتى ؟

ــ أنتِ تفنين عمرك بخدمة زوج لا يستطيع حتى أن يشكرك !

www.dvd4arab.com

أتلفت خلفى ، ألقى إليك نظرة يا (سامى) حيث تجلس ، ألتقط المفتاح وأغلق الباب خلفى . أقول فيما أجلس معه على درجة سلم :

ــ أنت لا تعرف شيئًا ؛ أنا أحبه .

ينظر إلى الأرض :

ــ لقــد لاحظتُ هــذا ؛ إنكِ تتحدثين عنه كأنكِ تتحدثين عن نفسك .. إنكِ حتى شكرتنى لإنقاذ حياتك أنتِ بينما أنا أنقذته هو ، أخبرتنى أنكِ هنا لأن الطبيب نصحكِ بذلك بينما تقصدين أنه نصحه هو .

يصمت للحظة :

ــ الحقيقة أن شدة إخلاصك له هى ما أثار إعجابى بكِ ، ولكن هل ترين من الإنصاف أن تضيعى أحلى سنوات عمرك برعاية رجل مشلول لا يملك حتى أن يُسمعكِ كلمة تداعب أحاسيسك أو يشعركِ بلحظة دفء ، أو سعادة ..

ألا تتمنى أن تخرجى مع حبيبكِ إلى الشاطئ فتركضان على الرمال وتسبحان بالمياه؟ ألا ترغبى بأن تحصلى على حياة طبيعية كزوجة محبوبة تقضى يومها بجوار زوجها فيثرثران حول التلفاز ويمد يده يطعمها الفيشار ثم يريح رأسها على كتفه ؟ وحين تصادفها مشكلة ، سينصحها ويقف بجوارها ، وحين تقع بمأزق ، سيدفع حياته لينجيها منه ، وحين تطلب شيئًا سيلبيه من قبل الطلب ... ثم ، ألستِ امرأة ككل امرأة تتمنى أن تحصل ذات يوم على طفل من حبيبها يشبهه ؟

يؤسفنى أن أقول لكِ أنكِ لا تعيشين الحياة ، أنت تدفنين نفسك بالحياة .

أنتظره حتى يفرغ من حديثه ، لأقل عبارة واحدة :

ــ صدّقنى .. أنت لا تعرف أى شىء ، عن مدى حبى له .

يزفر فى استسلام :

ــ حسنًا ..

لكنه يستعيد حماسه سريعًا ، فيقف ويجذبنى من يدى :

Loo1oo
www.dvd4arab.com

ــ ولكنكِ على الأقل اليوم ستجرّبين معنى ما أقول .

يتحرك بنا إلى الخارج .. أرتبك ، أتوقف :

ــ لكن ....

ــ لا تفكرى كثيرًا ، فكثرة التفكير تعطّل السعادة .

ــ لكنه ....

ــ لا تقلقى لأجله ، فحين تعودى ، سيكون لا يزال جالسًا كما تركتِه .

أفكّر : عنك يا (سامى) ، ستكون بخير طالما أنك لا تقوم لفتح الباب . وأما أنا ، فأتبعه .

يأخذنى إلى عـــوالم ساحرة .. إنه لا يـــزال طفـــلاً ؛ ولذلك فهو يعرف مواضع المرح جيدًا . أركب أرجوحة تأخذنى إلى الســـماء فأشهق ، فيما يغرق هـــو بالضحك . يصطدم بى بسيارته اللاسلكية ، فأرتج فى سيارتى ، أستجمع أنفاسى وأعود فأصدمه .

أتذكر شيئًا فأصيح من فوق سيارتى :

ــ على فكرة ، اسمى (ليلى) .

ــ وأنا (.... اسر) .

ــ أتقول (آسر) ؟

ــ بل (جاسر) .

ــ حسنًا ، سمعت .

ألتقط أنفاسى بعد هاته الألعاب ، يعترض طريقى شخص فى زى (ميكى ماوس) كان يرقص مع الأطفال ، يبسط إلى يده طالبًا هذه الرقصة .. أرتبك ، أنظر إلى (جاسر) فيومئ لى بشدة .. أترك نفسى للنغمات فأراقصه وأدور بين يديه وسط تصفيق الأطفال ..

نحمل ذات اللحن معنا ونتجول بالمدينة ، وحين أخربط به ، يصحح لى . ندخل إلى الماركت فيشرى لى الحلوى ، ولكنه يطمع بها ، فنتقاتل عليها . ويشرى لى الكثيـــر من الفيشار ؛ أنا أحب الفيشار .

Looloo
www.dvd4arab.com

يأخذنى إلى حيث التقينا أول مرة ، ذات الموضع . يركض ورائى على الشاطئ فيما يبلل الماء أطراف سراويلنا ، فيمسك بى ، ويجلسنى جواره على الرمال .. ويقول :

ــ أرأيتِ كيف أن الحياة تستحق أن تُعاش!

ــ صباحًا ، أخبرتك أنك أنقذت حياتى ، وكنتُ أعنى حياة زوجى . أما اليوم فيمكننى أن أقول أنك بالفعل أنقذت حياتى .

ــ وهل تعرفين أنكِ أيضًا أنقذتِ حياتي ؟

ــ وكيف هذا ؟

ــ حين جئتُ هنا فجرًا ، كنتُ أنوى الانتحار .

تصيبنى الدهشة :

ــ ولِم ؟

ــ لن ننهى اليوم بحديث عن المآسى ، دعيه يومًا للفرح وكفى ، اتفقنا ؟

ــ كنتُ أقرأ كتابًا عن الانتحار ، لكنى لم أصل لصفحة « الغرق » بعد ، على أى حال ..

أومئ برأسى :

ــ اتفقنا .

يبعثر الرمال فيما يقول :

ــ هل ... تؤمنين بالحب من النظرة الأولى ؟

ــ هل تؤمن أنت ؟

ــ هل تجيبين على السؤال بسؤال ؟

ــ هل أفعل ؟

نتبادل الابتسام ، تعلو وجهى مسحة شجن :

ــ ابتعد عن طريقى يا (جاسر) .

ــ ماذا تقولين ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ إن حياتى مأساة ..

يغلق فمى بكفه :

ــ وقد اتفقنا ألاّ نتحدث عن المآسى .

أخفض رأسى إلى الأرض ، يرفع ذقنى إليه :

ــ إذًا ... هل ، تبقين معه ؟

ــ ليس إنسانيًا أن أتركه .

ــ وما ذنبك لتحيى مع زوج مشلول ؟

ــ ذنبى أننى من تسبب فى شلله .

يرفع يده عنى ، يدير عينيه بعينى :

ــ هل تعنين أنك تسببتِ له بحادثة ؟

ــ اتفقنا ألاّ ننهى اليوم بحديث عن المآسى .

يومئ برأسه . يوصلنى إلى البيت ، ويلوّح بيده :

ــ إلى الغد .

ألوّح بخجل :

ــ إلى الغد العظيم !

ــ يمكننا الذهاب إلى السينما .

ــ وتناول الفيشار ؛ أنا أحب الفيشار .

يشاكسنى :

ــ أخبرتنى عن هذا سابقًا .

ــ جيد .

جيد .

يمنحنى ابتسامة فيما يستدير مغادرًا ، أميل أنظر لذاتى : هل صرتُ أصبى منه ؟ أتضاحك فى خبث : يبدو أننى .

أدير المفتاح ، فأصطدم بنظرتك الجامدة .

Looloo
www.dvd4arab.com

سوف تبقى ساكنًا .

وسوف لن تثور أو تتوعدنى لأننى خنتك وخرجتُ مع آخر .

وسوف أبكى تحت قدميك ــ مع هذا ــ أطلب المغفرة !

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

10

تعيسًا لأنه معى !

يخيّل إلى يا (ســـامى) حين أنظـــر إليك أنك تشيح بنظرك عنى .. أغاضب منى ؟

أما أزال حبيبتك

وإن أخطأت ؟

أتذكر حين أخبرتك يا (سامى) بأن ثمة شىء انكسر بيننا .. أتدرى ما هو ؟

إنه شعورى بحبك لى ..

فيما مضى ، كنتُ أملك يقينًا بحبك لى ، أما الآن .....

قل لى أنت ..

ألا زلت تحبنى ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

إننى أتكبد صعوبات ليس لبشر أن يحتملها لأنى أحبك ، فهل أنت تحبنى ؟

إننى متهمة بقتلك يا (سامى) ، ومن الممكن فى أية لحظة أن أجد من يطرق بابى ليأخذنى إلى المشنقة ، وستكون المشنقة أحب إلى من حياة بدونك ، فهل أنت تحبنى ؟

أولئك الـــ ... أبناء الأرض ، إننى مستعدة لأن أمنحهم ذاتى فداءً لك يا (سامى) ، ثم لا أندم فى لحظة أن حياتى راحت فداءك ، فهل ـــ أنت ـــ تحبنى !!؟

أطيح بما على المائدة فينكسر على الأرض :

إننى وحيدة ، هاربة ، مطاردة من الأحياء من الشرطة ، والموتى من أبناء الأرض .. أعنى بزوج مشلول كما يقول (جاسر) ، أما الذى لا يعرفه : أنه حتى ليس زوجى ، وإنما زوجًا لأخرى ، وذلك لأننى أحبك .

أمسك بكتفيك وأهزك :

فهل أنت تحبنى ؟

أجبنى ..

أجبنى ..

هل أنت تحبنى .....

أتهاوى إلى مقعد ، ألتقط أنفاسى ، وأمسح دموعى :

نعم ، أنت تحبنى .

أرفع إليك نظرة عاتبة :

تحبنى لأنك ذهبت إليها فى الحلم تدلها على مكانك ،

تحبنى لأنك أخبرتها كم أنك تعيس معى .

أبتلع الكثير من الهواء :

وتحبنى أكثر ، لأننى حين خذلتنى قواى مرة ولم أستطع منعهم من اصطحابك ، خرجت معهم طائعًا وكأنك تنتظر هذه الفرصة .

تنكسر عينى :

يبدو أن حبى لك يا (سامى) قد بدأ ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وانتهى :

حبًا من طرف واحد !

يرتفع طرف فمى فى ابتسامة :

هل رأيت سابقًا حبيبًا يتعذب بحب من طرف واحد لذات الشخص ، مرتين !؟

إننى الأوفر حظًا من بين المحبين !

أذهب إليك ، أطرد عنك الذباب ، أضبط من هندامك الذى أفسدته بثورتى ، ألملم بقايا الزجاج الذى تحطم :

هو منحنى من الاهتمام ــ بالضبط ــ بقدر ما كنتُ أحتاج . كان لطيفًا ، وحنونًا ، وفيّاضًا فى عاطفته إلى .

معه شعرتُ أننى محبوبة ، ومهمة ، وأستحق الحياة .

أن ثمة من بالكون يتلهف على النظر إلى ، الكلام إلى ، الجلوس إلى .. أليس رائعًا يا (سامى) ؟

أليس رائعًا خاصةً إذا ما أخذت باعتبارك وضعى كـ « امرأة مجنونة تطاردك بحبها » !

أنت السبب يا (سامى) .

نعم ، أنت السبب .

لا ، أنا لست مجنونة .

« مجنونة !! » ؟

هل هذا ما أمثله أنا لك ؟!

أبكلمة كهذه يمكنك اختصار كل السنين التى أحببتك بها ؟

كل الليالى التى سهرتها أتعذب بك ــ لأنى مجنونة ؟

كل الآلام التى تكبدتها من الشوق إليك ــ لأنى مجنونة ؟

كل الوفاء الذى حملته لخائن ينعتنى بأنى مجنونة ــ لأنى مجنونة .

نعم ، مجنونة ..

فمن يحب مثلك يا (سامى) لابد بأن يترك أى منطق وراءه، لابد أن يتخلى عن أحد اثنين : إما عقله ، أو حبّه .

كأننى أسمعك تقول شيئًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

« حبك بجنون ! »

هل قلتها الآن يا (سامى) ، أم منذ أعوام ؟

كان الجنون هو حدّ حبنا ، فلو كنتُ جننتُ كما تزعم ، فلتعلم أننى صدقتُ فى حبك .

أضرب بقبضتى المائدة :

لماذا لا تتمسك بى كما أتمسك بك ؟

ما الذى ينقصك لم أقدمه لك ؟

أى مستحيل بالكون لم أخضه لأجلك ؟

ليس هناك أكثر

أصعب ما يمكننى أن أقول : أننى لم يعد بوسعى أن أقدّم أكثر،

فانظر ماذا ترى يا (سامى) ..

الجميع يريدك يا (سامى) :

أبناء الأرض

زوجتك

البوليس

وأنا أريدك .

فاختر من شئت

لن أفرض عليك اختيارى .

أشيح بوجهى :

لك كامل حرية الاختيار .

أتركك وأذهب إلى الغرفة

أرتكن إلى الحائط لحظة

أنظر من النافذة بسرعة

ألمح نفسى فى المرآة

أجلس على أطراف أعصابى ، ثم لا أعود أحتمل دقيقة أكثر :

تُرى ، من اخترت ؟

أخرج إليك .. أجلس جوارك ، أرفع طرف عينى إليك :

ألا زلت غاضبًا .

أقترب قليلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

خلاص لن أره ثانيةً ، ولننسَ ما مضى .

ألتقط يدك أقبلها :

إنك أنت حبيبى ، إننى لم أحب غيرك يا (سامى) ، لم أتمنَّ غيرك ، هو فقط جاءنى فى لحظة ضعف من هجرك لى .. لكن ، ليس بعد الآن ، لن أسمح له ثانية أن يرانى أو نتبادل كلمة ، ليس كلمة يا (سامى) ..

أمرّغ وجهى بيدك :

أنت وحدك قطعة روحى التى ليس لها مثيل ، أى مخلوق غيرك يحتاج إلى مائة عام حتى يصل إلى مقدار ذرّة من حبى لك ، وحدك أنت . فقط يا (سامى) طمئننى ، فقط قل أنك تريدنى كما أريدك ، كلمة واحدة تطمئن بها روحى يا (سامى) : قل أنك اخترتنى ..

أرفع وجهى ، أترقبك ، أحبس أنفاسى ، أوقف دموعى ، لا تنطق . ألتقط كفك بين راحتى وأقربها إلى قلبى ، أرفع صلاتى فى خشوع ، أهيب بك :

قلها يا (سامى) ، أرجوك أن تقول ، كلمة واحدة ستبرد قلبى وتسكن روحى .. قل أنك اخترتنى ، قل أنك ــ مثلما أحبك ــ تحبنى ، إننى أستحق منك يا (سامى) أن تقول ، إن مثلى تستحق أن تقول ، قلها يا (سامى) ... أرجــوك ...

أتطلع إليــك .. يهتــف قلبى : قلها ، قلها ، قلها ... لكنك لا قول .

ألقى بيدك وأنتفض واقفة :

أتدرى لِمَ لم تقلها يا (سامى) ؟ لأنك جبان ، لأنك لا تدرى كيف تدافع عن حبك . وكان بودّى أن أعلمك كيف يكون التمسك بالحب ، ولكنى ــ منذ اللحظة ــ سأتعلم منك كيف يكون التهاون به .

سوف لن أتوقف عن رؤيته ،

وسوف يغمرنى بمشاعره ،

وسوف لن يكون تعيسًا لأنه معى !

Looloo
www.dvd4arab.com

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر ،

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

11

ما بقى لى من العمر !

تعيد إلى طرقات على الباب وجودى كإنسية فى عالم البشر ، أهبّ من الفراش .. أقف بتحفظ خلف الباب :

ــ مـــن ؟

ــ أنا (جاسر) ، افتحى لى ..

أهمس :

ــ (جاسر) !

أفتح الباب بينما أفرك عيونى ، يبادرنى :

ــ صباح الخير

أطلق همهمة فيما أحاول طرد النعاس ، يقول :

ــ ألم تجهزِ بعد ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هل سنخرج بهذا الوقت المبكر؟

ــ ولِمَ لا ؟

ــ فقط تعالَ .

أجذبه من يده إلى الداخل وأقوده إلى الصالة ، فيما أذهب لأغلق باب الغرفة عليك . أتجه إلى المطبخ فيما أقول له :

ــ سنفطر أولاً ، هل تأخذ مع الإفطار شايًا بالحليب ؟

ــ لا مانع .

أتنقّل بسرعة داخل حدود المطبخ .حتى تقع عينى على الباب فأجفل :

ــ ما الذى تفعله هنا ؟

ــ فكّرت أنك قد تحتاجين مساعدة .

ثم مدّ إلى يده بمظروف وقال :

ــ إليكِ هذا .

علقت عينى بالمظروف المترب الذى أعرف أمثاله جيدًا :

ــ ومن أين حصلت عليه ؟

ــ كان ملقىً على عتبتكم .

أختطفه وأقول بحدّة :

ــ ولكنى لم أره معك حين دخلت .

يبدو عليه التذكر مصحوبًا بالدهشة :

ــ أعتقد أنك كنتِ تفركين بعينك أو شىء كهذا ..

يستدرك :

ــ ما الأمر؟

ــ لا شىء ، فقط انتظرنى بالخارج من فضلك .

أتناول المظروف وأفضه على عجل .. ماذا بعد لديكم يا أبناء الأرض ؟:

« المرحوم الفاضل (سامى عزيز) ،

إن أمنا قد طال انتظارها ، وإن الصبر لينفد حين يخرج أول حى من الميت » .

Looloo
www.dvd4arab.com

أضحك فى نفسى :

هكذا فقط! كان يمكنكم أداء ما هو أفضل يا أبناء الأرض .

يصلنى صوت (جاسر) من الخارج :

ــ هل هذا التليفزيون يعمل ؟

ــ جرّبه .

أتابع إعداد الفطور .. يتعالى صوت التشويش بالتليفزيون ، أقدّر أنه قد يحب البيض الأومليت ، لن يحب المسلوق كالأطفال . تتعالى الثرثرة بالتليفزيون ، يصلنى صياحه :

ــ ها قد اشتغل !

ينساب حديثًا يبدو أنه بين أناس متحضرين ، يتحدثون الفصحى ، أصب الشاى ، يحتدم الحوار ، أصيح :

ــ كيف تحب الشاى ؟

يشوّش التليفزيون على ، أعلى من صوتى :

ــ كيف تحب الشـــــاى !؟

لا يبدو أنه يسمعنى ، لابد أنه يحبه حلوًا كالأطفال ، أحمل الصينية وأتجه إليه ، تصير عبارات التليفزيون أوضح ، يقول أحد الناس المتحضرين :

« وأمامكم على الشاشة الآن صورة الصحفى الغائب (سامى عزيز) ، وهذه صورة له مع زوجته ، وهذه آخر صورة تم التقاطها له قبل اختفائه » .

يلتفت إلى زميله :

« وهل تعتقد فعلاً أنه تعرض للقتل على يد خطيبته ؟ »

أميل أضع الصينية على المائدة وألتقط شيئًا آخر ، يشعر (جاسر) بخروشتى من خلفه ، يستدير سريعًا ، وبأسرع منه ، أصوّب الفازة إلى رأسه .

يتكوّم على الأرض ، أجلس أتناول إفطارى وأشاهد التليفزيون .

أتسلى بتغييرات فى الديكور ، وحين يفتح عينيه سيجد أنه مقيد إلى كرسى فى مركز الصالة ، وأنك بجانبه ، دون حاجة إلى تقييد .

Looloo
www.dvd4arab.com

يطالعنى بعينين عاتبتين ، يرقب ما حوله بأطراف عينيه ، يتوقف لحظة عندك ، ثم يعود فينظر حوله .

أصعد لأجلس فوق مسند الأريكة ، أنتظره حتى ينهى جولته ويعود إلى :

ــ أصدّقتنى الآن أنك لا تعرف أى شىء ، عن مدى حبى له ؟

ــ لماذا تفعلين هذا؟

ــ لماذا أفعل ماذا ؟

لماذا أحبه ؟

سأجيبك عن هذا السؤال ، ولكن أجبنى أنت أولاً :

لماذا تعمى عينى عن أى رجل سواه ؟

لماذا تنسحب روحى حين أرقبه يبتعد ؟

لماذا يحترق صدرى حين أتصوّره مع أخرى ؟

لو أجبتنى عن هذا كله أجيبك أنا عن 'لماذا ... أحبه' .

ــ ألأنك تحبينه تقتلينه ؟

أضحك ، أنزل عن المسند :

ــ أقتله !؟

أتجه إليه وأقف أمامه مباشرة ، أتوقف عن الضحك فجأة وأرفع يدى أصفعه بقوة ترج رأسه ، ثم أجذب شعره بيدى وأدير وجهه حتى أقصاه تجاهك ، أقول بصوت ينفطر له قلبى ذاته :

ــ انظر إليه : هل هو ميت إذ يجلس أمامك !!؟

يرتفع بصره إلى فى خشوع بينما يختنق صوته بالدموع :

ــ مجنونة! إنك مجنونة !

أضحك ، أدع رأسه :

ــ أجل ، هذه أعرفها .

ــ ماذا تنوين أن تفعلى بى ؟

ــ لا أعرف ، لازلتُ أفكّر .

ــ دعينى أرحل ، لن أخبر أحدًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

أهز رأسى أطرد الفكرة :

ــ لا يمكننى أن أثق بك .

ــ سأحفظ سرك .

ــ ستبقَ معى حتى تخمد القضية ،

أتناول قطنة وأنظف الجرح برأسه :

ــ فلو كان بإمكانى أن أعنى برجل مشلول ، فبإمكانى أن أعنى باثنين .

أجلب مقعدًا وأجلس بمواجهتك يا (سامى) ، أتحدث فى صلب الموضوع :

ــ لدينا مثل يوم أو يومين قبل أن يكتشفوا مكاننا ، فقد حصلوا على السكين ويحتاجوا إلى بعض الوقت حتى يفحصوا البصمات عليه ويضاهوها ببصماتى ، حينها سيعرضون صورتى على التلفاز كمرتكبة للجريمة ، وبالتأكيد أن زوجتك ستتعرف

إلى وتقودهم إلى هنا ، لذلك من المستحسن أن نغادر سريعًا ، فماذا ترى ؟

لا أمهلك :

ــ لا تشغل بالك ، سأعنى بالأمر .

أجهـز الحقائب ، أدس الملابس . يدق البـاب ، لا أفتح . ودعنا نأمل أن تتسع ملابس (كامل) لاثنين . تنقـر أيـدٍ على النوافذ ، لا أهتم . هل تُعتبَر سرقة إذا اقترضنا من الشاليه بعض المناشـف ؛ فقـد نسيتُ إحضار البعض ، تبتعـد الوجوه ثم تركض تلصـق نفسـها بالنوافـذ ، والمكـواة ، هـل يمكننا أيضًا اقتـراض المكـواة ؟ يرتج الشـاليه ، تنكسر النوافـذ ، يسقط الباب ، يندفع مئـات الموتى للداخـل ، ألتقـط المكـواة وأركض إليك .

أخترقهم فى طريقى إليك ، أزيحهم عنك ، أحميك بظهرى وذراعاى تحاوطانك للخلف :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لن تأخذوه ، لن تأخذوه ، قلت لكم ألف مرة يا أبناء الموتى لن تأخذوه !

أبدل ذراعى ما بين حمايتك أو التلويح بالمكواة فى وجوههم :

ــ إن من يقترب منه سوف أفتح رأسه ، لن أتوانى عن فتح رأسه بهذه المكواة !

يبرز لى الحانوتى من بينهم ، يرفع إلى إصبعه :

ــ قلتُ لكِ : لم يبقَ فى الصبر غير قطرة .

يحرك كلتا يديه أمامهم فى اتجاه معاكس ، يتوقفون عن الضجيج فجأة وينصتون .

يصعد من بدا كواعظ ليقف فوق المائدة ، يقول عن الموت موعظة ، يعتبرون .

تجلس الندّابات إلى جانب ، تولول وتشق الجيوب . تميل إلى جارتى فى الروب الأبيض :

ــ لماذا لا تندبيه مثلهن؟ ألم تحبيه ؟

ــ أحببته .

ــ فلماذا لا تبكيه ؟

ألتفت إليها بحدّة :

ــ لأنه لم يمت .

يصعد صبيا الحانوتى فيفرشان القماش الأبيض على المائدة .. يرفع الحانوتى يده فى مهابة ثم يشير بها دفعة واحدة إليك . يتدافعون للنيل منك ، أحيطك بكلتا يدى ، يتغالبون على بالمئات ، أصيح بعلو الصوت :

ــ ليس لى غيره ، دعـــــوه لى !

يردّون دفعة واحدة :

ــ ليس لكِ ، إنه للتراب .

تدور عينى بالغرفة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لماذا لا تأخذوا كل ما لى وتتركوه ؟

ــ التراب لا يفديه إلا التراب .

تصطدم عينى بجبل من الذعر فى عيون ذاك الفتى :

ــ لماذا لا تأخذوا هذا ؟

يصمتون ، تضرب رياح الرعب بجبل الذعر بعينى (جاسر) ، أقتنص الصمت :

ــ إنه من تراب ، إنه للتراب ، وبالتأكيد يصلح ليفدى التراب .

يجيبون :

ــ بل لا يصلح .

ــ لمـــــاذا ؟!

ــ لأنه حى .

يتراقص الشيطان أمام عينى :

ــ أ ــ لأنه ــ حى ؟!!!

أخفض ذراعى ، أحكم قبضتى على المكواة ، يتراجعون خطوات للوراء فيما أتجه إلى (جاسر) . أتوقف أمامه ، أرفع كلتا يداى بالمكواة إلى أعلى ، أنظر بعمق عينيه ، تلتمع دمعة فوق عينى ، يختلج عِرْق تحت خدّى ، يتوقف الوقت .

ــ أخبرتكَ أن تبتعد عنى .

ــ كدتُ أحبكِ .

ــ أحببته .

ــ أنقذتُ حياتكِ .

ــ حين أنقذته .

ــ لو كنتُ قابلتُ بحياتى من تحبنى بهذا القدر ، ما كنتُ فكرتُ بالانتحار .

ــ بعدك صغير ..

ــ على الحب ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ على الموت .

ــ مترادفان .

ــ الرجل الوحيد الذى أحببته ، يريدونه .

ــ المرأة الوحيدة التى أثنتنى عن الانتحار ، تقتلنى .

ــ دعنا لا نتحدث عن المآسى ..

ــ دعينا نعيشها .

يخفض رأسه فى استكانة ، ويغمض عينيه . أهوى بالمكواة فوق رأسه ، حتّى ينشطر .

أرتمى إلى الأرض ، ينفض المولد ، تغزونى القشعريرة مع كل صوت للجرجرة متبوعًا بفاصل من الصمت . يستدير الحانوتى قبل أن يغادر ليلوّح لى بإصبعه :

ــ تذكرى أن هذا لن ينفعكِ طويلاً ، لن ينفعكِ حتى تنفذ آخر قطرة من الصبر .

مع أول حى يخرج من الميت .

سوف لن أستطيع النوم الليلة ،

وسوف لن أستطيع الصحو غدًا ،

وسوف لن أستطيع الحياة ما بقى لى من العمر !

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر ،

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

Looloo
www.dvd4arab.com

12

كانت العظام !

أفتح فرجة من عينى وأتلصص : لا زال الوقت مبكرًا للصحو بعد .

لا زال الوقت مبكرًا لاعتراك الحياة والهموم والحروب والمكائد والمآسى ثم حمل الحزن والخزى فى طريق العودة إلى الفراش . لا زال الوقت غائبًا خلف الدمـــوع والآلام والأوجاع والدماء والصراخ والموت . لا زال الوقت مبهمًا للحصول على الأمانى والغايات والسعادة الأبدية فى السكون إليك . لا زال الوقت مجحفًا فى الوصول إليك .

لا زال الوقت ممكنًا ما دمتَ أنت ؛ فالوقت أنت .

أجرجر رأسى رويدًا إلى صدرك ، كما جرجروا الفتى . أدفع بيدك حتى تملّس شعرى . غنّى لى يا (سامى) ، هدهدنى ، أحتاج إليك .

♪

♫

هآذه ليلتى ، وحلم حيآتى ،

بين مآض .. من الزمآن وآتى ....

♪

♫

♫

الهوا أنتا كله والأمانى ،

فاملأ الكأس بالغرآام وهاتى .

♫

♪

♫

♪

♪

Looloo
www.dvd4arab.com

بعد حين ...

تيرارارارا

يبدل الحب دارا

تيرارارا

والعصافير .....

العصافير .....

♪

ما كانت تعمل العصافير !؟

لا يهم .

لدينا نهار طويل من السفر يا (سامى) ، دعنا لا نرهق البوليس بالوصول إلينا ، دعنا نلقاه فى الطريق ، هاهاها ، أمزح معك .

يعترينى شجن عميق ؛ أفكر فى نوبة المرح تلك ، ما جاء بها إلى فى غمرة الحزن ؟ هل هى صحوة للموت بعد ربع قرن من الحياة .

امنحنى قبلة من شفاهك يا (سامى) .. قبلة للحياة بعد ربع قرن من الموت .

أقترب ، أرتجف ؛ (سامى) هل تحركتَ ؟ ثمة شىء يتحرك بشفاهك يا (سامى) ، شىء ينتقل من شفاهك إلى ، شىء ليس له طعم القُبَل يا (سامى) ، ربما أن له طعم الـــ ... دود !!

(سامى) ، هل مُتَّ ؟

أجذبك من كتفيك ، أهزّك بكل طاقتى :

(ســـــامى) !

هل مُتَّ ؟

ألطم خدّى ، أصرخ :

لاااا

Looloo
www.dvd4arab.com

لا تموت الآن يا (سامى) !

لا تموت الآن !!!

أنا ما فعلتُ كل هذا إلا من أجلك !

الكون يتشقق ، الأصوات تفح ، الأيدى المتساقطة تطرق ، أمنا الأرض تتصدّع ، أمنا صبرت كثيرًا يا (سامى) ، لكن لا تموت الآن يا (سامى) :

(سامى) ! لم تبقَ غير خطوة يا (ســـــامى) ...

لا زال بوسعنا الهرب إلى مكان آخر ،

لا زال بوسعنا أن نبدأ من جديد ،

(سامى) ...

(ســـــامى) !

يخترقون النوافذ ، يخرجون من تحت الأرض ، يحاوطونك ، يتقدمهم الحانوتى ، ألتفت إليه وأصرخ :

ــ لقد ماااااات ! لقد ماااااات !

يرفعونك إلى المـــائدة ، يضعون عنـــك ملابسك ، أشياءك ، دبلتك الفضية ، يصبّون عليك المـــاء ، يجففـــونك ، يضعونك فوق قطعة من القماش الأبيض ، وقبل أن يلفونها ، أركض ، أصعد إليك ، أختبئ بحضنك ، أشبّك أصابعى بأصابعك ، تسقط دمعتى الأخيرة على صدرك : « سامحني ؛ لأننى ــ بهذا القدر ــ أحببتك » .

أرفع وجهى إليهم ، أدير إصبعى كبكرة :

ــ تابعوا الطى .

سوف يطوونني فيك ويطووك فى .

وسوف أمت فيك ما لم تحيه فى .

وسوف لن يعرفوا حين يفتحوا قبرنا ، لأى منا كانت العظام !

♪

سوف تلهو بنا الحياة ..

سوف تلهو بنا الحياة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر

فتعالى

تعاااااااالى

أحبك الآن

الآن

الآن ، أكثر .

♫

خـاتمـة

(أيها الراحل تفكّر؛ سُلّمة الحاضر نخرة ، سلّمة الماضى ذكرى ، سلّمة الآتى خطِرة ، فتوقف تزن الخطوة ، وتأمّل) .

أرتجف من لفحة برد :

ــ ها قد دخل الليل! تُرى ، كم الساعة الآن؟

ــ الساعة الآن : هى الساعة ، التى يدفع الإنسان عمره من أجلها .

أتلبّك :

ــ كنتَ .. كنتَ تبدو متعجلاً ..

ــ متعجلاً ، ولكن ثمة أمور تستحق أن تهدّئ المسير خلفها ، إن لم تستطع أن تقتنصها فى فورة عجلتك .

ــ أخشى أن تكون تأخرت .

ــ نعم ، تأخرت . تأخرت كثيرًا جدًا حتى وصلت فى اللحظة المناسبة تمامًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أية لحظة ؟

ــ هذه اللحظة يا (ليلى) ، هذه أفضل لحظة ممكنة ، تدرين مثل ماذا؟ مثل لحظة الارتماء على الفراش بعـد ليلة طويلة تكسّرين فيهـا الأوانى والمرايا وتجرحيـن جسدك ، الشهقة الأخيرة بعد ساعات طويلة من البكاء والنحيب والنشيج . ثمة لحظة صادقة تأتى بعد إفراغ كل مخزونك من التهديد والوعيد والعزم على النسيان والكره والانتقام ، وبعد كل البكاء والأنين والانفعال وحتى جفاف الدموع ، ونفاذ الكلام ، نضوب الطاقة . بعد كل هذا ، تأتى لحظة من الوهن الخالص ، تدركين فيها أنكِ كاذبة وضعيفة ولن تنسى ولن تنتقمى ولن تكرهى ولن تفعلى أدنى شىء سوى أن تتورطى فى الحب ، أكثر . هذه هى اللحظة يا (ليلى) ، لحظة صالحة لكل احتمالات الضياع : أن تعترفى بضعفك ، تنكسرى بحبّك ، تركضى وراءه ، تتشبثى بأذياله ، تركلى مؤخرته ، تقتليه ، تحنّطيه ، تنتحرى ، وحتى : تكتبى عنه قصة !

ــ تتحدث بالألغاز !

ــ تفهمينني .

أهرب بعينى :

ــ لا أفهم شيئًا .

ــ أتريدين أن أشرح لكِ ؟

أعاجله :

ــ لا .

يضطرب قلبى ، ألتقط أنفاسى فيما أتلمس شعرى :

ــ أقول أن لا داعى لأن تسترسل بالشرح بالاتجاه الخاطئ ، كل ما بالأمر أنك اتهمتنى بقصور الخيال فأردت أن أريك مدى اتساع خيالى ، لا أكثر .

ــ أكان فيض المشاعر ذاك خيالاً ؟

ــ محض خيال .

ــ وذكرياتنا التى أعرفها جيدًا خيال أيضًا ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هو .. هو المكان معبّق بالذكريات ، تعرف .. ذات الكافيه ، ذات المائدة ، وأنا وأنت ... لكن ، لكن فى نفس الوقت ، الأغنية التى أداروها ألهمتنى ، أيقظت خيالى ، ثم الملاحظة ، حين لمحت دبلتك ابتدأ كل شىء ، الملاحظة وجبة رئيسية للكاتب ، انظر .. انظر ...

أتلفت حولى كالبلهاء :

ــ الإلهام كثير هنا ، انظر ، انظر ..

ثم لا أشير إلى أى شىء ، تتوه نظرات (سامى) قبل أن تستقر على فى ابتسام ، أهتف :

ــ لا ، أرجوك ، ليست هذه النظرة ، سأثبت لك ...

أشير بطرف عينى إلى النادل الصغير :

ــ انظر .. ألا يصلح هذا الفتى الغض أن يكون (جاسرا) ؟

أدير رأسى إلى سيدة فى منتصف العمر على مائدة مجاورة :

ــ هذه السيدة لم تتوقف عن تقطيع أشياء بسكّين طوال الوقت ، يمكنها أن تكون جارتى بالأسفل .

أشير بطرف ذقنى إلى طفلة قد غلبها النعاس :

ــ أما قطعة السكر تلك فإنها تشبهك ــ لا أقصد غزلاً لكن ــ هى قطعة سكر ، وتشبهك . رأيتُ أن تكون ابنتك . وكم من عابر أتى ألهمنى دوره ، ثم مضى .

أرجع بظهرى للوراء أستطلع تأثيرى على وجهه ، ثم أتذكر شيئًا فأستدرك :

ــ وعلى فكرة ، زوجتك كانت هنا منذ قليل ، لكنها غادرت . أنت رأيتها ، تلك الحسناء التى كانت تجلس جوارنا ، لقد رأيتك تنظر لها .

يبتسم :

ــ لم أكن أنظر لها .

أعاجله :

ــ أنا رأيتك بعينى تنظر إليها .

يستسلم :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ إذًا ، فعلى الأقل لم تكن حسناء .

أرفع رأسى بشمم :

ــ من أجل هذا تعجّبتُ من ذائقتك .

يبتسم لحظة ، ترتسم بعينه نظرة شجن :

ــ أتعبتِ نفسك يا (ليلى) !

ــ مـــاذا ؟!

ــ أتعبتِ نفسك بنسج قصة من شخصيات وحوار وحبكة ، وصراع وحل وعقدة ، وفيض مشاعر وأغنيات وذكرى ، فقط من أجل أن تثبتى لى ما لم أشك به لحظة .

أخمش وجهى بأظافرى فيما يسمّى حكّة :

ــ لم أرد أن أثبـــت غيـــر أنى كاتبة جيدة ولستُ محدودة الخيال .

ــ لا تقلقى ، فلم أقل غير هذا .

ــ ولكنك قلت أن كتاباتى سطحية وتفتقر إلى .... إلى .....

أرقبه إذ يرجع بظهره للوراء ، فأصمت .. يرفع رأسه للأعلى :

ــ وهل قلتُ لكِ أيضًا يا (ليلى) أننى أترقب بلهف كل حرف تخطيه من كتاباتك السطحية ؟

هل قلتُ لكِ أنى أحاكى شخصيات خيالك وأجالسهم وأتودد إليهم أن يخبرونى حرفًا عنكِ ؟

هل قلتُ لكِ أنى أحفظ أسماءهم وأوصافهم ولكنى حين أناديهم أخطئهم ، فالنساء منهن (ليلى) ، والرجال غرمائى فى حب (ليلى) ؟

هل تعرفين شيئًا عن صداقات عقدتها مع باعة صحف كى يحجزوا لى نسخًا من كتبك؟

هل تعرفين شيئًا عن أطنان سالمون اشتريتها كى أطعم قططًا تحوم حول محل عملك ؟

هل تعرفين شيئًا عن أحذية أتلفتها فى السعى خلفك ؟

يواجهنى بكامل جسده :

Looloo
www.dvd4arab.com

تظنين أننى لقيتكِ ذاك اليوم صدفة ؟

لا تدرين شيئًا عن صدف يمكنها أن تتهمنى أننى ترصدتها مع سبق الإصرار .

عن ليالٍ قضيتها تحت غسيلك المنشور أنتظر لحظة خروجك لتجمعيه ..

عن مخالفات بعملى حصلت عليها لأن تقاريرى كلها عن (ليلى) !

عن حياتى التى لا تتقدم لأننى كلما سعيت وراء (ليلى) ، وصلتُ إلى البدء .

يرق صوته :

ــ لا تدرين شيئًا عن (ليلى) : (ليلى) التى لا تُنسى ، ولا تُنال ، ولا تلقاها ، ولا تفارقك ، (ليلى) التى بإمكانها أن تعيد إليك روحك بكلمة ، كما بإمكانها أن تقتلك ، ثم لا تسبل دمعة .

يرتجف صوتى :

ــ (سامى) ! لماذا لم تقل منذ البدء يا (سامى) ، لماذا لم تقل ؟!

تختبئ دمعة خلف عينه :

ــ أقول ؟

إن حديثًا عن حب (ليلى) لا يكون بقول : « أحبك » ، ويكون أكثر وضوحًا لو قلتُ : « لن أقول » .

حديثًا عن حب (ليلى) لا يكون بالكلام ، وإنه فى أفضل حالاته سيكون بالبكاء ، فلو أردتُ الاحتفاظ بدموعى ، فإن أفضل شىء ألاّ أقول .

تفلت منه الدمعة :

ــ أنتِ قوية الملاحظة يا (ليلى) ، فهل لاحظتِ أننى إذ أدير وجهى عنكِ أخشى أن تقع عينى بعينك أن أجهش بالبكاء ؟

هل لاحظتِ إننى إذ أنظر فى ساعتى أبحث عن لحظة كاللحظة أستطيع فيها أن أطلق شظايا الدموع تتكسر على قدميك ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

هل لاحظتِ أننى إذ أتحاشى نطق اسمك أخشى أن يخرج من فمى تخرج معه الروح ؟

(ليلى) !

ما أحلى اسمك !

ليس لأنه حلوًا ،

بل لأنه اسمك ... أحبك يا (ليلى) ! أحبك !

أجهش بالبكاء :

ــ يكفى يا (سامى) ! يكفى !

دعنا لا نتعذب أكثر ، دعنا نعود لبعضنا .

لا زال العمر أمامنا ، لا زال بإمكاننا أن نبدأ من جديد

زوجى توفى ، ولم تعد من عقبات بيننا .

يمسح دموعه :

ــ وماذا عن زوجتى أنا؟ ما ذنبها ؟

ــ وما ذنبى أنا يا (سامى) ؟ ما ذنبى أنا ؟

ــ ولكنكِ تزوجتِ يا (ليلى) وحصلتِ على نصيبك ، أما هى فلا تستحق أن يتركها نصيبها .

ــ لن تتركها يا (سامى) ولن تتخلى عنها ؛ أنا أقبل أن أكون الزوجة رقم ألف لك .

ــ ولكننى لا أقبل أن أكون الزوج رقم اثنين .

يقف :

ــ قوية الملاحظة يا (ليلى) ،

يخلع دبلته ويضعها أمامى على الطاولة ، ويقول :

ــ ويسعدنى بالنهاية أنكِ لاحظتِ ، كيف أن الشعور مؤلم ، لمن يتزوج حبيبه .

ثم يمضى .

سوف تتسع عينى إذ أرقبه يغادر ،

وسوف أرفع الدبلة أمام وجهى ،

وسوف لن أصدّق أننى أقرأ بداخلها : حروف اسمى !!

Looloo
www.dvd4arab.com

♪

سوف تلهو بنا الحياة وتسخر ،

فتعالَ ...

أحبك الآن أكثر .

♫

ليست خاتمة

دومًا أستمع إليكِ يا (ليلى) ،

دومًا تجدين (فانتوم) بجوارك فى أوقاتك الصعبة والحلوة والخطرة ،

ودومًا أنتِ لا ترينى كأنى شبح،

وكنتُ أبرّر لنفسى بأنى شبح ،

والآن أعرف أن تفسيرى كان واهيًا ؛

أعرف أن العين تقصر عن الرؤية ،

إن كانت ملأى بآخر!

Looloo
www.dvd4arab.com

العـدد القـادم

شـايب بالأحكـام

« هل تلعب معنا الشايب ؟

قبل أن تجيب فكّر أنه سيكون عليك تنفيذ الأحكام ! »

« أخرجَت (فادية) كوتشينة وتساءلت :

ــ أتلعبون ؟

صاح الشباب صيحة رجل واحد :

ــ نعم .

والتفّوا حولها ، قالت :

ــ الشايب !

سنلعب شايب بالأحكام ،

أحكام لذيذة موت .

موافقون ؟

مفهوم ، مفهوم ، بالتأكيد 'موافَقَة' . جلستُ إلى جانب الفتيات نمارس قضم الأظافر وجز الأسنان وندّعى أننا نشاهد التليفزيون ، وبين الحين والحين ترن ضحكة (فادية) ، وتعقبها بحكم على المسكين الذى بقى الشايب فى جعبته .

بالتأكيد ، (فانتوم) ، لم يكن يحق لها فى كل مرة أن تصدر الحكم ، لأنها لم تكن 'الكينج' فى كل مرة ، لكن أخبرك ببساطة أنه ما أن يصير أحدهم الكينج حتى يتنازل عن حكمه لــ (فادية) . والعفريتة لم تسمح لهم مرة بإصدار حكم عليها ، إذ لم يقع الشايب مرّة معها ، أو بمعنى آخر : كانت تمرره بسهولة ، يكفى أن تغمز لسعيد الحظ الذى سيسحب ورقة منها ، وترفع له قليلاً الشايب ، حتى يأخــذه راضيًا غيــر عابئ لو يموت الآن بعدما ابتسمت له (فادية) .

كانت ليلة سخيفة ، وكلهم كانوا حمقى ، ولا أستثنى (سامى) . كان أحمق ورائعًا وكنت أرى تخبطه فى حب (فادية) فأشفق عليه وأتمنى لو يمكننى مساعدته حتى ولو لم يصر لى .

Looloo
www.dvd4arab.com

وبالرغم من سخافة الليلة إلاّ أننا ضحكنا كثيرًا على الأحكام التى أصدرتها (فادية) ، بالرغم من كل شىء لا تخلو الساحرة من روح الدعابة . كانت أحكامها قاسية ، ومبتذلة ، وطريفة . وتأتى طرافتها من ملاءمتها للموقف ؛ فمثلاً (عبد العال) قصير القامة اضطر إلى أن يصعد فوق المائدة ويقول عشر مرّات : « أنا مش قصيّر قـــزعة ، أنا طويل وأهبـــل » ضاربًا بقبضته الهواء فى حماس .

و(رفاعى) النحيف فقد طلبت منه أن يجلس محتلاً الأريكة كلها ، ويقول بذات الحماس : « أنا قد الفيل ، وأوزن برميل ! »

أمّا (قاسم) الأشقر وجد نفسه جالسًا إلى الأرض وقد أثنى ركبتيه ، وأمسك بطرف خيط ملفوف حول طبق فى يد (فادية) ، والتى وقفت تدق على الطبق كـــ « طبلة » فى حين يغنى الجميع : « اللـــ اللـــ الـــ يا ميمون .. وكمان الـــ للـــ أكون ممنون » ثم بدءوا فى مخاطبته : « مش إنت القرد ؟! » فى حين ينفى هو : « لا هو القـــرد » .. وقـــد ذكرنى هذا بـــ (اسماعيل ياسين) و(شكوكو) ، وقد ضحكت قبل أن أدرك كم أن هذا مبتذل !

وفى الصباح التالى وبينما نفطر بدا لى (عبد العال) أطول قليلاً ، و(قاسم) أقبح قليلاً ، أما (رفاعى) فكان يوصل الطعام بالطعام وبعد أن فرغنا من الإفطار ، تأكد بنفسه من نظافة الموائد ! »

والآن ، أنت تعرف أكثر من اللازم !

Looloo
www.dvd4arab.com

إلى لقـــــاء !

أيها القادم إلى ، أيها الراحل عنى ، أيها العابر فوق أحرفى واطئًا جرحى ، داهسًا وجعى ، مبعثرًا نزفى ، مشاهدًا ــ عن كثب ــ حبى وخوفى وأعمق أسرار نفسى ، ثم مديرًا ظهرك إلى كأن لم تكن .

هدّئ مسيرك ، سأتبعك .

سنلتقى ، ولو لم تصل إلى ، لوصلت إليك . اقبع جوار الحائط ، ادخل داخل الحائط ، اختبئ تحت فراشك ، اخفِ وجهك ، اكتم صوتك ، ستكون لك زلّة؛ ستفضحك أنفاسك ، أو تسعل فجأة . ثم لن ينفعك طول الاختباء .

ها قد انتهيتُ ، ويمكننى أن أقول : "See you"

وبالعربية تصبح : « مصير الأحياء إلى لقاء ! »

Looloo
www.dvd4arab.com

في كتاب الحب والرعب سطر . يضمن تدفق
الأدرينالين إلى دمك . قبل أن يسفك دمك .

سالى عادل

الوصول إليك

أنا أحكى لك يا (فانتوم) ، دومًا أحكى لك..

واليوم، لن أحكى لك.

لن أحكى لك، عن الحب، الذى يترك بك أثرًا مدى الحياة،

كضربة مطواة.

لن أحكى لك أنت، سأحكى.. لهذا الحب.

28 / 12 / 013

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والاسكندرية

مطابع